الزهاوي وتحولاته
قراءة في رسائله المطوية إلى الكرملي

حُسين مُحمَّد عَجِيْل
كاتب - العراق

المُلخَّص:

يُصادِفُ العامُ الجاري الذِّكرى التِّسعينَ لرحيلِ الزَّهاويِّ، هذا الرّائدِ العراقيِّ، الكُرْديِّ الأَرَوْمِةِ، العربيِّ الثَّقافةِ، المُجدِّدِ شاعِرًا ومُفكِّرًا ومُتفلسِفًا ومُترجِمًا وناشِطًا سياسيًّا واجتماعيًا، ولذلكُ رأيتُ أَن أَستعيدَ ذكراهُ وجانبًا من تجربتِه وبعضَ مواقفِه الجدليّةِ، بنَشْرِ باقةٍ من رسائلِه الخَطِّيّةِ غيرِ المنشورةِ من قبلُ، قِوامُها اثنتا عشرةَ رسالةً، كانَ وجَّهَها بينَ سنةِ ١٩٠٨ و١٩٣٢م إلى صديقِه الكرمليِّ أَيضًا، تطرَّقَ فيها إلى أَشتاتٍ من المسائلِ الّتي كانتْ تشغلُه، مِمّا يخصُّ مُؤلَّفاتِه وكتاباتِه، وقراءاتِه التُّراثيّةِ والحديثةِ، ومُحتوياتِ مكتبتِه الشَّخصيّةِ من المخطوطاتِ العربيّةِ قدَّمها للكرمليِّ كأَنّه يُفهرِسُ بعضَها ممّا وقعَ تحتَ يديه منها، وصِلاتِه ببعضِ الشَّخصيّاتِ المُعاصِرةِ، وموقفِه من أَحد رُمُوزِ الاحتلالِ الإنكليزيِّ للبلادِ سنةَ ١٩١٧م، هو بَيْرْسِي كوكس Percy Cox . وقد مهَّدتُ لها بمُقدِّمةٍ عامَّةٍ عن المُرسِلِ والمُرسَلِ إليه، وطبيعةِ الصِّلاتِ الجامعةِ بينَهما- في عصْرٍ شهدَ تحوّلاتٍ كُبرى في بلادِنا ومُحيطِها والعالَمِ إثر اندلاعِ الحربِ الكَوْنيّةِ الأُولى، فأَصبحَ العراقُ بعدَها من حصّةِ الإمبراطوريّةِ المُنتصِرةِ فيها (بريطانيا) لَمّا تقهقرتِ المهزومةُ (الدَّولةُ العُثمانيّةُ)، قبل أَن يستردَّ استقلالَه- وفَحْوى الرَّسائلِ، وما تُقدِّمُه من كُشوفٍ، فضْلًا عن إضاءاتٍ وصفْيّةٍ تُعنى بأُصُولِ هذه الرَّسائلِ، ومكانِ حِفْظِها، وما دُوِّنَ عليها من كتاباتٍ بقلمِ الكرمليِّ لتوثيقِ التّاريخِ غالِبًا، وطرائقِ الزَّهاويِّ في توقيعِها، وفي تدوينِ تواريخِ الرَّسائلِ الّتي اتَّبعَ فيها تقويمَيْنِ، أَحدُهما غيرُ معروفٍ على نِطاقٍ واسعٍ، استخدمتْه الدَّولةُ العُثمانيّةُ لأَسبابٍ اقتصاديّةٍ في عهْدِها الأَخيرِ، يجمعُ بينَ

التَّقويمَـيْنِ الهجريِّ الميلاديِّ، ويمزجُ بين أَسـماءِ الأَشـهُر فيهما. وختمتُها بمبحثٍ قصيرٍ عن مصيرِ رسـائلِ الكرمـليِّ إلى الزَّهـاويِّ، وآخـرَ عـن بيانِ طريقةِ تحقيقي لنُصُوصِ هذه الرَّسائلِ والتَّعليقِ عليها؛ إذ علَّقتُ عليها بهوامشَ مُتنوِّعةٍ تشتملُ على مُلاحظاتٍ بشـأنِ نُصُوصِها، والتَّعريفِ الشّـاملِ بأَعلامِهـا، والكشْـفِ عن شـواردِ إشـاراتِها، كي تكونَ في مُتناولِ القارئِ العامِّ، وتتموضَعَ في إطارٍ من زمانِها.

الكلماتُ المِفتاحيّةُ: جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، الأَب أَنِسْـتاس مـاري الكرمليّ، أَدبُ الرَّسـائلِ في العـراقِ الحديـثِ، الثّقافةُ العراقيّـةُ مطلعَ القرنِ العشرينَ، الشَّـعرُ العراقيُّ مطلعَ القرن العشرين، مواقفُ رُوادِ النّهضةِ في العراق حيالَ التُّراثِ واللُّغةِ العربيّة، مجلّةُ (لُغة العرب).

مدخل:

في الأَعوامِ الخمسـةِ الأَخيرةِ كتبتُ أَربعَ مقالاتٍ تناولتِ الشّـاعرَ الرّائـدَ جميل صِدْقـي الزَّهاويَّ (المولودَ ببغدادَ يـومَ الأَربعاءِ ١٨ حَزِيْرانَ/ يونيو ١٨٦٣م، والمُتـوفَّ فيهـا يـومَ الأَحدِ ٢٣ شُـباط/ فبرايـر ١٩٣٦م) مـن منـاحٍ مُختلِفـةٍ[١]، وكانَ القاسِـمُ المُشـتَرَكُ فيهـا أَمريـنِ: الأَوَّلُ احتواؤها جميعًا على رسـائلَ خطِّيّةٍ نادرةٍ لم يسبقْ نشرُها، تُسـلِّطُ الأَضـواءَ على جوانبَ مجهولـةٍ من حياتِه، وانشـغالاتِه الكِتابيّـةِ، وصِلاتِـه بأَعـلامِ العصْرِ، ثمانٍ منهـا كانتْ بخطِّ الزَّهاويِّ نفسِـه، وواحدةٌ بغيرِ قلمِه تسردُ وقائعَ يومِـه الأَخيرِ وقصَّةَ وفاتِه بعد مُضيِّ أُسـبوعٍ على الواقعةِ. والقاسِمُ المُشتَرَكُ الآخـرُ أَنَّ مُتلقِّـيَ كُلِّ هذه الرَّسـائلِ هـو صديقُ الزَّهـاويِّ الحميمُ، العَلّامةُ اللُّغويُّ الأَبُ أَنِسْـتاس مـاري الكرمليُّ (المولودُ ببغدادَ يـومَ الأَحدِ ٥ آب/ أَغُسْـطُس ١٨٦٦م، والمُتوفَّ فيها يـومَ الثُّلاثاءِ ٧ كانون الثّاني/ يناير ١٩٤٧م).

وإذ يُصادِفُ العـامُ الحاليُّ الذِّكرى التِّسـعينَ لرحيلِ الزَّهـاويِّ، هـذا الرّائدِ العراقـيِّ، الكُرْديِّ الأَرُوْمةِ، العربـيِّ الثَّقافةِ، المُجدِّدِ شـاعِرًا ومُفكِّرًا ومُتفلسِفًا ومُترجِمًا وناشِـطًا سياسيًّا واجتماعيًا، رأيتُ أَن أَستعيدَ ذكراهُ وجانبًا من تجربتِه وبعضَ مواقفِه الجدليّةِ، وأَخصَّ قُرّاءَ (المورد) الغَرّاءِ بباقةٍ من رسائلِه الخَطِّيّةِ غيرِ المنشورةِ من قبلُ، قِوامُها اثنتا عشرةَ رسـالةً، كانَ وجَّهَها بينَ سـنةِ ١٩٠٨ و١٩٣٢م إلى صديقِه الكرمليِّ أَيضًا، تطرَّقَ فيها إلى أَشتاتٍ من المسائلِ الّتي كانتْ تشغلُه، مِمّا يخصُّ مُؤلَّفاتِـه وكتاباتِـه، وقراءاتِه التُّراثيّـةِ والحديثةِ، ومُحتوياتِ مكتبتِه الشَّـخصيّةِ مـن المخطوطاتِ

(١) هـذه عُنوانـاتُ المقـالاتِ وبياناتُ نشرِهـا: «**وقائعُ اليـوم الأَخير في حياةِ الزَّهاويِّ**»، مجلَّةُ (الشَّـبَكة العراقيّة) الصّادرةُ ببغدادَ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٣٧٨، الصّادرُ يومَ ٢٨ شُباط/ فبراير ٢٠٢١م: ص٤٠- ٤١. و«**الزَّهـاويُّ وصِـلاتُ التَّثاقُفِ مع المُسـتشرقِ الفرنسيِّ لويس ماسـنيون**»، جريدةُ (الصّبـاح) الصّـادرةُ ببغـدادَ عـن شـبكةِ الإعـلامِ العراقـيِّ، العددُ ٦١١٥، الثُّلاثاءُ ٢٥ شُـباط/ فبراير ٢٠٢٥م. و«**لمحـاتٌ من حياةِ الزّهاويِّ تكشـفُها رسـائلُه إلى الكرمـليِّ**»، جريدةُ (الصَّبـاح)، العددُ ٦٣٥٥، الاثنينُ ٢٣ شُباط/ فبراير ٢٠٢٦م. و«**كيفَ حـاولَ الزَّهاويُّ الإفـلاتَ من قبْضـةِ الإنكليزِ**»، مجلَّةُ (الشَّـبكة العراقيّة) بعددِها ٤٩٤، من السَّـنةِ ٢١، الصّادرِ يومَ السَّبتِ ٢٨ شُباط/ فبراير ٢٠٢٦م: (ص٦٨- ٦٩). هذا فضْلًا عن تخصيصي مَبْحَثًا عنه في بحْثيَ الموسـومِ بـ: «**مُحاولَةٌ لتوثيـقِ الرِّيادةِ في دراسـةِ التُّراثِ الشَّـعبيِّ والعامِّيّةِ العراقيّةِ**»، المنشـورِ في مجلَّةِ (التُّراث الشَّعبيّ) الصّادرةِ عن دارِ الشُّؤونِ الثَّقافيّةِ العامَّة، وزارةُ الثَّقافةِ، العددُ ٣١٥، كانونُ الأَوَّلُ/ديسمبر ٢٠٢١م: ص٢٩٣- ٣٢٢.

العربيّـةِ قدَّمها للكرمليِّ كأنّه يُفهـرِسُ بعضَها ممّا وقعَ تحتَ يديه منها، وصِلاتِه ببعضِ الشَّـخصيّاتِ المُعاصِرةِ، وموقفِه من أحد رُمُوزِ الاحتلالِ الإنكليزيِّ للبلادِ سنةَ ١٩١٧م، هو بَيْرْسِي كوكس Percy Cox. وقد مَهَّدْتُ لها بمُقدِّمةٍ عامَّةٍ عن المُرسِـلِ والمُرسَـلِ إليه، وطبيعـةِ الصِّلاتِ الجامعـةِ بينَهما- في عصْرٍ شـهدَ تحوّلاتٍ كُبرى في بلادِنا ومُحيطِها والعالَمِ إثر اندلاعِ الحربِ الكَوْنيّةِ الأُولى، فأصبحَ العراقُ بعدَها من حصّةِ الإمبراطوريّـةِ المُنتصِرةِ فيها (بريطانيا) لَمّـا تقهقرتِ المهزومةُ (الدَّولـةُ العُثمانيّةُ)، قبل أن يستردَّ استقلالَه- وفَحْوى الرَّسائلِ، وما تُقدِّمُه من كُشـوفٍ، فضْلًا عن إضاءاتٍ وصفْيّةٍ تُعنى بأُصُولِ هذه الرَّسـائلِ، ومكانِ حِفْظِها، وما دُوِّنَ عليها من كتاباتٍ بقلمِ الكرمليِّ لتوثيقِ التّاريخِ غالِبًا، وطرائقِ الزَّهـاويِّ في توقيعِها، وفي تدوينِ تواريخِ الرَّسـائلِ الّتي اتَّبعَ فيهـا تقويمَيْنِ، أحدُهما غيرُ معروفٍ على نِطاقٍ واسـعٍ، اسـتخدمتْه الدَّولةُ العُثمانيّةُ لأسبابٍ اقتصاديّـةٍ في عهْدِها الأخيرِ، يجمعُ بـينَ التَّقويمَيْنِ الهِجريِّ الميلاديِّ، ويمزجُ بين أسماءِ الأشهُرِ فيهما. وختمتُها بمبحثٍ قصيرٍ عن مصيرِ رسـائلِ الكرمليِّ إلى الزَّهـاويِّ، وآخـرَ عـن بيـانِ طريقـةِ تحقيقي لنُصُوصِ هذه الرَّسـائلِ والتَّعليـقِ عليها؛ إذ علَّقتُ عليها بهوامشَ مُتنوِّعةٍ تشتملُ على مُلاحظاتٍ بشأنِ نُصُوصِها، والتَّعريفِ الشّـاملِ بأعلامِها، والكشْفِ عن شواردِ إشـاراتِها، كي تكونَ في مُتناولِ القارئِ العامِّ، وتتموضَعَ في إطارٍ من زمانِها.

وبنشْري هذه الرَّسـائلَ، يبلغُ عددُ الرَّسائلِ الّتي تخـصُّ الزَّهاويِّ- في ما كُنتُ نشرتُه من قبلُ والآنَ- إحـدى وعشريـنَ رسـالةً، تُمثِّـلُ في مجموعِها نواةَ كتابٍ أعكفُ على إنجازه، يضمُّ أيضًا ما وقفتُ عليه من رسائلِه الأُخرى غيرِ المنشورةِ.

الزَّهاويُّ مُغتربًا، طحينُ التَّنويرِ وجعجعةُ الدَّعاوى:

شـغلَ الزَّهاويُّ دُنيـا الأدبِ والفِكْـرِ في العراقِ والبـلادِ العربيّةِ مُنـذُ نهاياتِ القرنِ التّاسـعَ عشرَ وفي خـلالِ الثُّلُثِ الأوَّلِ من القـرنِ العشرينَ، وحتَّى بعـدَ رحيلِـه، بجُرأتِـه- شِـعْرًا، ونَثْـرًا، وترجمةً، واجـتراحَ قضايـا فلسـفيّةٍ وعلميّـةٍ، وتفاعُـلًا مع مُحيطِـه- في طـرْحَ أفـكاره الثّائـرةِ عـلى التَّقاليدِ الأدبيّةِ والاجتماعيّةِ والفِكْريّةِ السّائدةِ، وملأَ أسماعَ النّاسِ بقصائـده الّتي جاءتْ في نسـبةٍ منها كبيرةٍ على غيرِ السَّـمْتِ الشّـائعِ في زمانِه، سواءٌ من حيثُ نسيجُه اللُّغويُّ وتراكيبُه وأُسلوبُه في النَّظْمِ ومُعجمُ المُفرداتِ المُستخدمُ، الّذي يجنحُ ما أمكنَ إلى الألفاظِ المأنوسـةِ القريبةِ من فهْمِ القارئِ العامِّ ذي الثَّقافةِ المُتوسِّطةِ، والمُبتعدِ عن اللَّفْظِ الغريبِ- حتّى انحطَّ كمٌّ غيرُ قليلٍ من أبياتِه من وهجِ الشِّعْرِ إلى تقريريّةِ النَّثْـرِ العاديِّ أحيانًا، كما سُـجِّلَ عليـه الإكثارُ من نَظْمِ أفـكاره ومُبتدعاتِه بالشِّـعْرِ التَّعليميِّ الجافِّ بطبيعتِه- أو من حيثُ الموضوعـاتُ الّتي يتناولُها، بوصْفِـه شـخصيّةً فكريّـةً تنويريّةً تُبـشِّرُ بالعِلْمِ، و»شاعرًا عَصْريًّا» بالتَّعابيرِ السّائدةِ يومئذٍ، ينبغي أن يُعبِّرَ عن هُمُومِ عصْره وشـواغلِ النُّخبةِ المُتنوِّرةِ من جيلِـه في البلادِ العربيّـةِ والشَّرقيّةِ الّتي نهضتْ قبـلَ العـراقِ ثقافيًّـا واجتماعيًّـا وسِياسـيًّا، لا أن يكـونَ صدًى مكرورًا لأجيالٍ مَضَتْ، يجترُّ منظومةَ أفـكارٍ يراها عقيمةً، أو في مُحاولةِ تفاديه للأغراضِ الشِّـعريّةِ المطروقةِ لدى جُلِّ مُعاصِريه، المُرتكزةِ في الأغلـبِ على غَرَضَي المديحِ والهِجاء، وإن نظَمَ فيهما بعضَ القصائدِ أحيانًا.

وكانَ من سِماتِ النُّخْبةِ الثَّقافيّةِ في جيلِ الزَّهاويِّ أنَّ ارتباطَهـا بجَذْرها الثَّقافيِّ والحضـاريِّ العربيِّ

الإسـلاميِّ الأَصيلِ، المُمْتدِّ بعيـدًا في الزَّمانِ والمكانِ، لـم يكنْ قد تضعضـعَ يومئذٍ، فوجدنـا نُخْبةً منهم سَـقَتْ بُذُورَ عصْرٍ للنَّهضةِ الحديثـةِ كانت تُرتجى ثِمارُ مَزْجِه بين مُرتكزاتِ التُّراثِ العربيِّ الإسـلاميِّ وصافي ينابيعِه أَدبًا وعلمًا ومنظوماتِ قِيَمٍ وسُلُوكٍ، وبينَ أَفـكارٍ ومفاهيمَ ومناهجَ علميـةٍ صاغتْها من جديدٍ حضارةُ الغربِ بعدَ أَن هَضَمَتْ وتمثَّلَتْ كُبرى مُنجـزاتِ الحضاراتِ السّـابقةِ والمُجـاورةِ، وكانتِ الحضـارةُ العربيّـةُ الإسـلاميّةُ أَقربَهـا إليهـا زمنًا وجُغرافيّةً، وأَشـدَّها تنافُسًـا وتغالُبًا معها وتأثيرًا عليهـا، ومع ذلكَ وجدَنا بعضًا من هؤلاءِ يُسـارِعُ- بدَعْوى العصْريّةِ ومُجاراةِ التَّطوُّرِ- إلى تبنِّي أَفكارٍ تقفُ وراءَ إشـاعتِها من خلْفِ الأَستارِ، دُوَلٌ غربيّةٌ وحـركاتٌ ذواتُ لُبُـوسٍ دينـيٍّ أَو عُنْـصريٍّ، لديها مطامـعُ مُعْلَنـةٌ بالاحتلالِ نفَّـذَتْ بعضَها، وجهاتٌ اسـتشراقيّةٌ أَو تبشـيريّةٌ مُريبةُ الدَّوافـعِ والمقاصدِ والغاياتِ، ما كانتْ ذاتَ مشاريعَ فرديّةٍ أَو جماعيّةٍ لنُخْبةٍ عُلمـاءَ باحثينَ أَو دُعاةٍ مُتحمِّسـينَ لدينِهم- كما هي الحـالُ مع تجاربَ أُخـرى زامَنَتْها، مُعْلَنةً أَهدافُهـا العِلميّةُ المحضـةُ، أَو مقاصدُها الدِّينيّةُ في التَّواصُلِ مع مسيحيِّي المشرِقِ ورعايتِهم، وتحسينِ تعليمِهـم وحياتِهـم- بـل ظهـرَ لاحِقًا أَنَّهـا كانتْ مـن بينِ واجهـاتِ تلك الدُّوَلِ والحركاتِ المشـبوهةِ وأَدواتِها التَّمهيديّةِ للغزْوِ الثَّقافيِّ قُبَيْلَ العسكريِّ.

ورُبَّمـا تأَثَّرَ أَفرادٌ مـن هذا الجِيْـلِ، كالزَّهاويِّ، تأَثُّـرًا سـلبيًّا ببعـضِ دَعـاوى التَّغريـبِ في الشَّرقِ الإسـلاميِّ، وتجاربِهـا اللّاحقةِ المُنْبَتَّةِ عـن جُذُورِها ومُرتكـزاتِ هُويّتِهـا الحضاريّـةِ، والمُعلِنـةِ العـداءِ السّافرِ لها، إلى مدًى تُمَسُّ فيه هذه الجُذُورُ والهُويّةُ الحضاريّـةُ بِفَـرادةِ بصماتِها- بـدلَ أَن يكونا هما بالـذّاتِ مُرتكزَيْها في الشُّرُوعِ بنهضةٍ حقيقيّةٍ- مثلَ تلك الّتـي كانَ جُفاءُ الزَّبَدِ والعَـرَضُ الزّائلُ وبريقُ المظاهـرِ الشَّـكْليّةِ، لا اسـتلهامَ العُلُومِ واسـتنفارَ العُقُـولِ، فَحْواها. وأَسـفرتْ عن تجاربَ سياسـيةٍ وُصفـتْ بأنهـا عقيمـةٍ، تزامنـتْ في تُركيـا وإيرانَ وبلادِ الأَفغانِ، حاربتْ بضراوةٍ تُراثَها الجامعَ وقِيَمَ مُجتمعاتِهـا أَوَّلَ ما حاربتْ[٢]. ولاحتْ في ما دعا إليه أَفرادٌ من هـذا الجِيْلِ دَعاوى سـقيمةٌ تتعارضُ مع أَثـافيِّ هذه الهُويّةِ، فدعا الزَّهـاويُّ، مَثَلًا، في لحظاتٍ من انتكاسـةِ الفِكْرِ لرائدٍ مثله، وفُقدانِ الإحسـاسِ باتجاهاتِ البَوْصَلةِ الحضاريّةِ الّتي ينبغي أَن يكونَ هو الرُّبّانَ المُحـترِفَ في قراءتِها، إلى اتّخاذِ العامِّيّاتِ العربيّةِ لُغاتٍ للتَّعليمِ والأَدبِ والحياةِ وهجْرِ العربيّةِ الفُصْحـى؛ لأَنَّه يصعبُ- على وفْـقِ دَعْواه- تعلُّمُها، مـع هَجْرِ الخطِّ العربـيِّ؛ لأَنَّه يرى صُعوبـةَ إجراءِ الضَّبْطِ والتَّشكيلِ لحُرُوفِه وحركاتِه في آلاتِ الطِّباعةِ آنـذاك، وهي دعواتٌ ثبـتَ بُطلانُهـا وتضخيمُها في

(٢) للزَّهاويِّ قصيدةٌ مُؤرَّخةٌ في ٢٩ آذار/مارس ١٩٢٩م، عُنوانُها: «إلى ملكِ الأَفغانِ أَمان الله خان»، منشورةٌ في ديوانِه الخامسِ: «الأَوشـالُ»، مطبعةُ بغدادَ، ١٩٣٤م: ص٢٢- ٢٤، جـاءتْ بعدَ نحْوِ أُسـبوعٍ عـلى مُحاولةِ هذا الملكِ المخلوعِ العودةَ بالقُوّةِ إلى السُّـلطةِ من منفاه بالهندِ البريطانيّةِ آنذاكَ، اثـرَ تنازُلِه الإجباريِّ- بِفِعْلِ حراكٍ اجتماعيٍّ مُناهِـضٍ له- عن العرْشِ في مُنتصفِ شـهرِ كانونَ الثَّاني/يناير ١٩٢٩م، لكـنَّ محاولتَه باءتْ بالفشَلِ، وعادَ مُضطرًّا إلى منفاه البريطانيِّ حتَّى وفاتِه بعدَ ثلاثينَ عامًا. أَشادَ الزَّهاويُّ في قصيدتِه تلكَ بمـا عَدَّها خطـواتٍ إصلاحيّةً لأَمانِ اللـهِ خان، جاءتْ تأَثُّـرًا بأُنموذجِه التُّركيِّ مُصطفى كَمال أَتاتورك، كانَ من بينِها فَرْضُ ارتداءِ الزِّيِّ الغربيِّ على النّاسِ، ومنْعُ الحِجابِ، وفَرْضُ السُّفُورِ على المرأةِ في مُجتمعٍ مُحافظٍ وقبليٍّ، وإلغـاءُ عُطْلةِ يومِ الجُمعـةِ وجعْلُها يومَ عملٍ. وقال مُقارنًا بين أَحوالِ الشَّخصيّتَيْنِ:

لا يَرى فـي التَّجْديـدِ قَوْمُـــكَ إلا
بِدْعَةً تُقْصِيْـــهِمْ عـــن الجَنّاتِ
«مُصطفى» بالإِصْلاحِ جاءَ ولكنْ
لم يجدْ ما وَجَدْتَ من عَقَباتِ

زمانِها، بظُهُورِ مئـاتِ الطَّبعاتِ من القُرآنِ الكريمِ، وعـشراتِ الآلافِ مـن طبْعـاتِ الكُتُـبِ التَّفسـيريّةِ والحديثيّةِ والفِقْهيّةِ والمُعجميّةِ والأَدبيّةِ والشِّـعْريّةِ والعِلميّةِ والمدرسـيّةِ.. كاملةَ التّشكيلِ بجُهْدٍ بشريٍّ مُعتادٍ وغيرِ خارقٍ للعادةِ، وها هي أَجهزةُ الحاسِـبِ الآليِّ في زمانِنـا قد سـهَّلتِ الكتابةَ باللُّغـةِ العربيّةِ، بالتَّشـكيلِ الجُزئـيِّ أَو التّامِّ على نحْوٍ شـديدِ اليُسْرِ لأيِّ مُتعلِّمٍ صغيرِ العُمرِ.

ولقـد كانَ من الواجبِ على هـؤلاءِ المُنادِيْنَ بِمِثْلِ هـذه الدَّعـواتِ غـيرِ المُفكَّـرِ في وبـالِ نتائجها على أَجيالٍ قادمةٍ، أَن يسـتنفروا جُهُودَهم في البحْثِ عن وسائلَ مُبتكرةٍ لتيسـيرِ ما يرونَه صَعْبًا أَو مُتعذِّرًا، كما فعلتْ أُمَمٌ شرقيّةٌ أُخرى لم تُسـتَلَبْ في تجاربِها النَّهْضويّةِ، بل تمسَّـكَتْ بلُغـاتِ تُراثِها الحضاريِّ بوصْفِها العُنصَرَ الفارقَ في حِفْظِ هُويّاتِها، كاليابانِ والصِّينِ، مثلًا، اللّتَينِ قدَّمتا للشُّعوبِ الشَّرقيّةِ نماذجَ حضاريّـةً مُلْهِمةً في هذه المَجالي، عـلى الرَّغمِ من أَنَّ أَنظمـةَ الكتابةِ بهما أَشـدُّ تعقيدًا من العربيّةِ بما لا يُقـاسُ، ويكفـي أَن أَذكرَ هُنا أَنَّ الرُّمُـوزَ المَقْطعيّةَ للُّغةِ الصِّينيّةِ اختُزلتْ- لتيسـيرِ تعلُّمِها إبّانَ نهضةِ تلـك البـلادِ العريقةِ- إلى خمسـةِ آلافِ مقْطَعٍ لا بُدَّ للمُتعلِّمِ من حِفْظِها، وكانَ تمسُّكُ الصِّينيِّينَ بلُغتِهم الحافظةِ لموروثِهـم الحضاريِّ الطَّويلِ، وإصرارُهم على أَن تكـونَ لُغةَ الحياةِ والعِلْـمِ معًا الّتي تمدُّهم بعناصرِ القُوّةِ والتَّماسكِ، سببًا في تجنُّبهم الانقطاعَ عن جُذُورِهم الحضاريّةِ فيما لو انتحلوا لُغةً أُخرى لأُمَّـةٍ غربيّـةٍ مُتقدِّمةٍ، أَو اقتبسـوا أَبجديّـةَ إحدى لُغاتِهـا الّتي غَزَتْهـم في عُقْرِ دارِهـم، حتَّى نجحوا اليـومَ في أَن يفرِضـوا أُنموذجَهـم على العالَـمِ كُلِّه، وتعلُّمَ لُغتِهم المُعقَّـدةِ إذا رامَ الإفادةَ من إنجازاتِهم العلميّـةِ والمُذهِلِ من صِناعاتِهـم بتقنيّاتِها وتطوُّرِ أَنظمتِها.

ولعلَّ الزَّهاويَّ ذا الثَّقافةِ الدِّينيّةِ، وسليلَ الأُسرةِ العلميّةِ العريقةِ التّي توارثتْ كُبرى المناصبِ الدِّينيّةِ ببغدادَ- فقد تولَّى والده الشَّيْخُ الفقيهُ مُحمَّد فَيْضي الزَّهـاويُّ (١٧٩٧- ١٨٩٠م) منْصِبَ الإفتاءِ فيها، ثُمّ تـولَّى أَخوه الأَكبرُ الشَّـيْخُ الفقيهُ مُحمَّد سـعيد الزَّهاويُّ (١٨٥٠- ١٩٢١م) ذلكَ المنصبَ بعدَ وفاةِ والدِهما- كانَ يشـعرُ بشيءٍ من تمـزُّقِ الذّاتِ وهو يندفعُ بقُـوّةٍ في المُناداةِ ببعضِ هـذه الدَّعاوى الّتي كانَ يُلاقـي بسـببِها كثيرًا من الغضـبِ والإعراضِ والازدراءِ مـن مُحيطِه، لا سـيما حـينَ تبنّى قضايا خِلافيّةً أُخرى واجَهَ بسـببِها مُشكلاتٍ كادتْ تُودي بحياتِه، ففي سـنةِ ١٨٩٦م نشرَ الزَّهاويُّ، في مجلَّةِ (المُقتَطَف) القاهريّةِ الواسعةِ الانتشارِ عربيًّا، بحثَه الجـريءَ «الخطُّ الجديـدُ»[٣]، مُجترحًـا فيه قواعدَ خـطٍّ جديدٍ بديـلٍ لخـطِّ التَّنزيلِ الّـذي لا يُضاهى جمـالًا ويضمُّ كُلَّ تُراثِ الأُمّةِ، وتضمَّنَ مَبْحثًا فرعيًّا بعُنـوان: «لُغةُ العامَّةِ» شـغلَ نحـو ثلاثِ صفحاتٍ من المجلّة، دعا فيه «بعضَ ذوي الهِمّةِ بأَن يجمعوا قواعـدَ اللُّغةِ العامّيّةِ ويُهذِّبوهـا بوضْعِ الكُتُبِ فيها وتوسـيعِ دائرةِ أَدبيّاتِها وإضافةِ بعضِ ما يعوزها مـن الكلماتِ القديمـةِ، مع إبدالِ الخـطِّ المُتعارفِ، فتعمَّ هذه المُهذَّبةُ لسُـهولتِها شـأَنَ كُلِّ أَمرٍ نافِعٍ». ولم ينسَ الزَّهاويُّ، المُعجَبُ بنظريّةِ دارْونَ العِلْميّةِ في التَّطـوُّرِ، أَن يُوظِّفَها في دعوتِه، فيُغازلَ- ضِمْنًا- فريقَ تحرير (المُقتَطَف) الّذي رَوَّجَ لها.

---

(٣) نُـشِرتْ في الجُـزءِ السّـابعِ مـن السَّـنةِ العشرينَ من مجلَّـةِ (المُقتَطَـف) القاهريّةِ، الصّادرِ يـومَ ١ تشرينَ الأَوَّلِ/اكتوبـر ١٨٩٦م: ص٧٣٨- ٧٥٢. ثُمَّ أَعادَ عبدُ الحميدِ الرُّشُوديُّ نَشْرَها في كتابِه «الزَّهاويُّ، دراساتٌ ونُصُـوصٌ»، منشـوراتُ دارِ مكتبـةِ الحيـاةِ، بيروت، ١٩٦٦م: ص ٦٩- ٨٩.

ولئن سـبَّبتْ رُدُودُ الأَفعالِ على نَشْرِ هذه المقالةِ المتاعـبَ للزَّهـاويِّ في بلاده، فقـد أَثـارتْ اهتمامًا كبـيرًا خارجَها، منه ترحيـبُ المُسـتشرِقِ الفرنسيِّ لويس ماسـنيون بها، فقد خصَّـصَ لكاتبِها فِقْرةً عُنوانُها: «مُسـتقبلُ هذه اللَّهْجةِ: رأيُ الزَّهاويِّ»، في كُتيِّبِه: «تعليقاتٌ على لَهْجةِ بغدادَ العربيّةِ» الصّادرِ بباريسَ سـنةَ ١٩١٣م[٤]، مُشـيدًا بجُرأتِه و«فِكْره الحُـرِّ»، وكتبَ يقولُ: «لقـد أَذاعَ حديثًـا أَحدُ أُدباءِ بغـدادَ، المعـروفُ بأَنّه فيلسـوفٌ وشـاعرٌ مطبوعٌ للغايـةِ، والمُتَّهمُ بالزّندقةِ (التّفكـيرِ الحُرِّ)، أَلا وهو الشَّـيْخُ جميل صِدْقي الزّهاويُّ، بخُصُوصِ اللَّهْجةِ البغداديّـةِ الدّارجـةِ. لقـد أَذاعَ الزَّهـاويُّ حديثًـا، ومُعزِّزًا رأيَه بالأَمثلةِ، بأَنَّ اللَّهْجةَ البغداديّةَ الدّارِجةَ سـتحِلُّ قريبًا محلَّ الفُصْحى، فارتطمـتْ نظريَّتُه ارتطامًا عنيفًـا بالـرّأيِ الدِّينيِّ السّـائدِ... وأَثارتْ فِكْرتُه مُجادلاتٍ ومُشادّاتٍ حادّةً[٥]».

ولم يكتفِ الزَّهـاويُّ بهذه المُحاولـةِ على الرّغمِ مِمّا لقيَـه جرّاءَها، بـل أَردفَها باثنتَـيْنِ بعد أَربعةَ عشرَ عامًا، نشرَهما بتوقيعٍ مُستعارٍ في مصرَ أَيضًا، وحاولَ أَن يُرسِّخَ فيهما مَقُولاتِه السّابقةَ، فقد نشرَ بجريدةِ (المُؤيَّد) القاهريّةِ الواسـعةِ الانتشـارِ يومَ ٧ آب/ أَغْسـطُس ١٩١٠م، مقالتَه الشَّهيرةَ «المرأةُ والدِّفاعُ عنها»، باسمِ (صَوْتٌ إصلاحيٌّ من العراقِ)، دعا فيها إلى إلغـاءِ بعضِ أَحكامِ الإِرْثِ في الشَّريعةِ، ونَـشرَ فيهـا بعـدَ يومَـيْنِ مقالتَـه: «لُغـةُ الكِتابةِ ووُجـوبُ اتِّحادِها باللُّغـةِ المَحْكِيّـة»، الّتي تعرَّضَ فيها للحِجابِ، وعَدَّ من أَسبابِ تأَخُّرِ العربِ- فضْلًا عنه- أَنَّهم «يكتبونَ غيرَ اللُّغةِ الّتي يحكونَها». وقد أَثارتِ المقالتانِ مَوْجةً من السُّـخْطِ الشَّديدِ، وتلقَّى بسـببِهما رُدُودًا سـلبيّةً عنيفةً وتهديـداتٍ بالقتلِ. حتّـى أَنَّه قالَ عن ذلكَ في سِـيرتِه الذّاتيّةِ المنشـورةِ سنةَ ١٩٢٨م: «نُشِرَ لي في (المُؤيَّدِ) مقالٌ دافعتُ فيه عن المرأةِ، فأَثارَ عليَّ الشَّعْبَ بإِيْغارِ أَعدائي، وأَرادوا إهانتـي أَو إهلاكـي، ولم أَخرجْ من بيتيَ أُسـبوعًا، وسـعى أَحدُهـم إلى ناظِم باشـا، وهـو يومئذٍ والي بغدادَ، ليعزِلَني عن وظيفتي، ففعلَ»[٦].

(٤) صـدرَ بترجمـةِ أَكـرم فاضِل عـن مركـزِ الفُولكلورِ العراقـيِّ في وزارةِ الإِرشـادِ العراقيّـةِ، ضمنَ سلسـلةِ المكتبةِ الفُولكلوريّةِ (٢)، مطبعةُ وأُوفسـيتُ الرّابطةِ، بغداد، ١٩٦٢م.

(٥) «تعليقاتٌ على لَهْجةِ بغدادَ العربيّةِ» لويس ماسينيون، ترجمة: أَكرم فاضل: ص٣٢.

(٦) «حياتـي»، جميل صِدْقـي الزَّهاويُّ، (مجلّـةُ المجمعِ العلميِّ العربيِّ بدمشـقَ)، الجُـزءُ الخامسُ من المُجلَّدِ الثّامـنِ، الصّـادرُ في أَيّارَ/مايـو ١٩٢٨م: ص٢٩٣. وكانَ الزَّهـاويُّ قد حـاولَ إنكارَ نسـبةِ المقالتَيْنِ إليه، خشـيةً من التَّهديـداتِ وتفاديًـا لِما هو أَسـوأُ. وكانَ من بينِ الّذين هاجموه خارجَ العراقِ، الشَّـيْخُ السَّلَفيُّ المعروفُ مُحمّد رشـيد رِضـا صاحبُ مجلّـةِ (المنار) القاهريّةِ الشَّـهيرةِ، الّـذي كتبَ مقالةً ناقـشَ فيها ما واجهَـه الزَّهـاويُّ من أَزمةٍ إِثـرَ نشْره مقالتِـه الأُولى، عُنوانُها: «جميـل صِدْقي أَفندي الزَّهـاويُّ، مُهاجمتُه بشـعريّاتِه للشَّريعـةِ الإِسـلاميّةِ في حُقُوقِ النِّسـاءِ»، في العددِ ١١ من السَّـنةِ ١٣، الصّادرِ في شـهر كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩١٠م: ص٨٤١- ٨٤٦. خَلُصَ فيها إلى عـدِّه مُتَهَكِّمًا بالثّابتِ من نُصُـوصِ الدِّينِ، ومُرْتدًّا عنه، مُعترضًا على تهديدِ بعضِ النّاسِ له، ومُحاولتِهم قتْلَه. لكنَّه اسـتدركَ في ختامِ مقالتِه (ص٨٤٦) بفِقْرةٍ عُنوانُهـا (حُجَّةٌ جديـدةٌ لبراءةِ الزَّهاويِّ مـن المقالةِ)، قالَ فيها: «بعدَ كتابةِ المقالةِ جاءَنا (المُؤيَّدُ) يقولُ إنَّهم قابلوا خطَّ رسـالةِ مقالةِ الدِّفاعِ عن المرأةِ بخطِّ بعضِ القصائـدِ الّتي كانَ أَرسـلَها الزَّهاويُّ لـــ (المُؤيَّد) من قبـلُ، فوجدوا الخَـطَّ مُختلِفًا غيرَ مُتشـابِهٍ، فإِذا أَنكرَ الزَّهاويُّ تلـك المقالةَ وتبرَّأَ مِمّا فيها من الاعتراضِ على الشَّريعـةِ تبرُّؤًا جليًّـا واضِحًا، لا كما كتـبَ في جريدةِ (الرَّقيـب)، فإِنَّ ما كتبَه (المُؤيَّدُ) الآنَ يصلُحُ حُجَّةً على تأييـدِ إنكاره، وحينئذٍ نُطالِبُ الحُكومةَ والأَهاليَ بجعْلِ الحادثةِ كأَنْ لم تكنْ شيئًا مذكورًا».

الكرمليُّ مُتَّسِقًا مع الهُويَّةِ الجامعةِ، ودفاعُه المُستميتُ عن مَجْلاها الأَعظمِ:

وكانَ مـن اللّافـتِ، والجديـرِ بالاهتمـامِ، أَنَّ موقفَ شـخصيّةِ راهبٍ مسـيحيٍّ عراقيٍّ ذي أَصلٍ لُبنانـيٍّ، كالعَلّامـةِ الأَبِ أَنِسْـتاسَ الكرمليِّ[٧] حيالَ اللُّغـةِ العربيّةِ كانَ على النَّقيـضِ تمامًا، قولًا وفِعْلًا وثباتًا عليهما، من دَعاوى الزَّهاويِّ المُتعجِّلَةِ باتِّخاذِ العامِّيـةِ بديلًا عن لُغةِ العربِ، فعملَ الكرمليُّ طوالَ عُقُـوده الثَّمانيـةِ على الكشْـفِ عـن أَسرارِ العربيّةِ بوَصْفِهـا المَجْلَى الأَعظمَ المُعبِّرَ عـن الهُويّةِ الجامعةِ للنّاطقينَ بها مع أَهلِها وغيرِهم، والحافظةِ لتُراثِهم، وبيانِ ما تتمتَّعُ به مـن خصائصَ فريدةٍ بين لُغاتِ العالَـمِ، وإنعاشِـها باصطلاحاتٍ جديدةٍ في شـتَّى الحُقُولِ لِتَفِي بمتطلَّباتِ العَصْرِ، والدِّفاعِ عنها دفاعَ المُسْتميتينَ[٨].

(٧) عـلى مَدى رُبْعِ القرنِ الأَخيرِ، كانَ أَنِسْـتاسُ الكرمليُّ- بِفَـرادةِ تكوينِه الثَّقـافيِّ ومُنجزه ودَوْره الاسـتثنائيِّ وأَثَره- في البُؤرةِ مـن اهتمامي كاتِبًا وباحِثًا ومُحقِّقًا، فقـد تناولتُه مـن زوايـاه المُختلِفةِ في اثنتَـيْنِ وثلاثينَ مقالةً ودِراسـةً ومُحاضَرةً ومَبْحَثًـا، فضْلًا عن كتابٍ صـدرتْ منه طَبْعتانِ، الأُولى سـنةَ ٢٠٠٠م عن مجمعِ اللُّغـةِ العربيّـةِ بدمشـقَ، والأُخرى سـنةَ ٢٠٢٣م عن دارِ الرّافدَيْنِ ببيروتَ، ودرسـتُه شخصيّةً تنويريّةً من رجالاتِ نهْضَـةِ البلادِ في نهاياتِ القرنِ التّاسِـعَ عشرَ والنِّصْفِ الأَوَّلِ من القـرنِ العشرينَ. وقد جُمِعَتْ هذه الكِتابـاتُ عنـه جميعًا في كتـابٍ دُفِعَ للنَّـشْرِ عُنوانُه: «أَنِسْـتاسُ الكرمليُّ، بِشارةُ نهضةٍ وريادةُ تنوير»، من المُؤمَّلِ أَن يصدرَ ببغدادَ قريبًا.

(٨) حتَّـى كتـبَ الباحثُ عبدُ الـرَّزّاقِ الهـلاليُّ، مقالةً عنه بعُنوانٍ مُثيرٍ: «الأَبُ أَنِسْـتاس مـاري الكرمليُّ الرّاهِبُ الّذي وقفَ حياتَه لِخدمةِ لُغةِ القُرآن»، مجلَّةُ (العربيّ) الكُويتيّـةُ، العـددُ ٩١، حَزيْران/يونيـو ١٩٦٦م: ص٤٩- ٥٥. وتُنْظَـرُ في ذلك أَيضًـا مقالتي: «العَلّامةُ الكرمـليُّ في ذاكـرةِ الثَّقافةِ العربيّةِ»، جريـدةُ (المَدى) البغداديّـةُ، العـدد السّـابعُ، الصّـادرُ في ١٦ أيلـولَ/ سبتمبر ٢٠٠٣م: الصُّفحةُ الثّامنةُ (الثَّقافيّةُ).

وانشغلَ مُنذُ شـبابِه المُبكِّرِ بوضْعِ مُعجَمٍ جديدٍ لها سـمّاه (المُساعِد)، اسـتدركَ فيها على المُعْجَماتِ العربيّـةِ ما قد فاتَها من أَلفـاظٍ، ويُعَدُّ مُعجمُه غيرُ المُسـتكمَلِ النَّشْرِ- من أَسَـفٍ- إلى الآنَ[٩]، المُساهمةَ العراقيّـةَ الأُولى في هذا الميـدانِ بالعصْرِ الحديثِ، ثُمَّ أَنشـأَ ببغدادَ مُنتصَفَ سـنةِ ١٩١١م مجلَّةً شهيرةً تهتمُّ بمباحثِ اللُّغةِ والأَدبِ والتّاريخِ، سـمّاها (لُغة العـرب)، كانت مثابةً مُتقدِّمةً للدِّفاعِ عن هذه اللُّغةِ الكريمـةِ في أَوْجِ سياسـةِ التَّتْريـكِ الطُّورانيّةِ الّتي تبنَّاهـا جناحُ الاتِّحاديِّينَ الّـذي أَدارَ زِمامَ الأُمُورِ في الدَّولـةِ العُثمانيّةِ قُبيلَ انتهـاءِ حُكْمِها الطَّويلِ على العراقِ.

وضمـنَ مسـاعيه الجليلةِ هذه، بـادرَ إلى إحياءِ أَوَّلِ مُعجَـمٍ عربيٍّ، هو مُعجَمُ «العَـيْن» للخليلِ بنِ أَحمدَ الفراهِيْديِّ، بطبْعِه مُحقَّقًا على نُسْخةٍ فريدةٍ، مُسـتعينًا بعِلْمِ أُسـتاذه وصديقِه العَلّامـةِ اللُّغويِّ الشَّيْخِ محمود شُكْري الآلوسيِّ (١٨٥٤- ١٩٢٤م). ولقيَ الكرمليُّ، وهو في هذا السَّـبيلِ، كثيرًا من عَنَتِ السُّـلُطاتِ وقسـوتِها، حتَّى نفـاه الاتِّحاديّونَ عندَ

(٩) ابتدأَ بجمْعِ مواده سـنةَ ١٨٨٣م، واسـتمرَّ يعملُ فيه إلى أَواخرِ حياتِه، وهو يقعُ في خمسـةِ مُجلَّداتٍ قِوامُها (٣١٩٨ صفحـة)، طُبِـعَ منها قِسْـمانِ فقـط، ضَمّا الهمـزةَ والأَلفَ وبعضَ حـرْفِ البـاءِ، حقَّقَهما وعلَّقَ عليهما ووضعَ فهارسَهما: گورگيس عَوّاد وعبدُ الحميدِ العَلَوْجِيُّ، وصدرا ببغدادَ بينَ سـنةِ ١٩٧٢ و١٩٧٥م، عن مُديريّـةِ الثَّقافـةِ العامّـةِ- دارِ الحُرِّيّـةِ للطِّباعةِ (سلسـلةُ المعاجِـم: ٢). وتُنْظَرُ في المصـيرِ المُؤلِمِ الّذي انتهتْ إليه اليومَ نُسْـخةُ هذا المُعجَمِ المُكتملةُ التَّحقيقِ والمدفوعةُ للنَّشْرِ بالقاهرةِ مُنذُ سـنةِ ٢٠١٠م، بجُهُودِ نُخْبةٍ مـن المُحقِّقـينَ العراقيِّينَ، مقالتـي: «كنْزٌ ثقافيٌّ للكرمليِّ مُحْتَجَزٌ بالقاهرةِ مُنذُ ١٥ عامًا، لا مُساعِد على إنقاذِ مُعجَمِ (المُسـاعِد)!»، المنشورةُ في مجلَّةِ (الشَّبكة العراقيّة): السَّـنةُ العشرونَ، العددُ ٤٨١ الصّادرُ يومَ الجُمعةِ ١٥ آب/أَغُسْطُس ٢٠٢٥م: ص٧٨- ٨٠.

اندلاعِ الحربِ الكَوْنيّةِ الثّانيةِ سـنةَ ١٩١٤م إلى بلادِ الأَناضولِ زُهاءَ عامَيْنِ، فتوقَّفتْ مجلَّتُه الرّائدةُ، كما توقَّـفَ مشروعُ إكمالِه طَبْعَ مُعجَمِ «العينِ»، بعدَ أَن نَشَرَ منه قِطْعةً في ذلك العامِ[١٠].

وخالـفَ الكرمليُّ الزَّهـاويَّ، أَيضًا، في دعوتِه إلى انتحالِ حُـرُوفٍ جديدةٍ بديـلًا للحُـرُوفِ العربيّةِ، ورأى أَنَّ تلك دعوةٌ خطيرةٌ تُفقِدُ النَّاطقينَ بالعربيّةِ صِلَتَهـم بتُراثِهـم، وارتأى لمُشـكلةِ ضَبْـطِ الأَلفاظِ بالتَّشـكيلِ، الّتي يراها مُعقَّدةً، حَـلًّا مُبتكَرًا حافظَ فيه عـلى الحُـرُوفِ العربيّةِ كمـا هيَ، مـع إِضافةِ أَحرُفٍ جديدةٍ تُمثِّلُ أَصواتَ الصَّوامتِ الّتي لا تُكتبُ في العربيّةِ المُتوارثةِ (وهي: پ، چ، ژ، گ، ڤ) والّتي يُسـتخدمُ مُعظمُها حاليًّا في اللُّغةِ الفارسيّةِ، وكذلك بإِضافـةِ بضعـةِ رُمُوزٍ جديـدةٍ تدخـلُ كالأَحرُفِ في بنيـةِ الكلمـاتِ، فتحلَّ محـلَّ حركاتِ التَّشـكيلِ المعروفةِ المُدوَّنةِ فوقَ الحُرُوفِ أَو تحتَها (السُّـكونِ والفَتْحـةِ والضَّمَّةِ والكَسْرةِ). وهـو يرى أَنَّ في ذلك ضَبْطًا للُّغةِ، وتخفيفًا على مُتعلِّمِها، واختزالًا لوقتِه وجُهْدِه، وتسهيلًا للكاتبِ بها، وتيسيرًا على قارئها. وأَصدرَ سـنةَ ١٩٣٥م كُتيِّبًا[١١] شرحَ فيه اجتهاده وطريقتَه تلـك الّتي لم تلقَ تبنِّيًا أَو اسـتجابةً، من المجمعَيْنِ اللُّغويَّيْنِ العربيَّيْنِ القائمَيْنِ يومئذٍ بدمشقَ والقاهرةِ، وقد كانَ عُضْوًا فيهما، ولا من غيرِهما.

الزَّهاويُّ والكرمليُّ، صداقةٌ متينةٌ برغم التَّناقضاتِ:

وعـلى الرَّغـمِ مـن هـذا التَّناقُـضِ بـينَ هاتَيْنِ الشَّـخصيَّتَيْنِ الرّائدتَـينِ، في النَّزْعـةِ والتَّوجُّهـاتِ والأَهـدافِ، جمعـتْ بينَهمـا صداقـةٌ متينـةٌ بدأَتْ في العقْـدِ الأَوَّلِ مـن القـرنِ العشرينَ في حُـدُودِ ما وقفـتُ عليـه، وتواصلتْ قويَّـةً إِلى وفـاةِ الزَّهاويِّ أَواخرَ شـتاءِ سـنةِ ١٩٣٦م، وكان الكرمـليُّ يومئذٍ في القاهـرةِ ووصلَه ذلك النَّبأُ مُفصَّـلًا من صديقِه إِبراهيمَ فـرح المعلـوفِ، الطَّبيبِ المُتـأَدِّبِ اللُّبنانيِّ المُقيـمِ ببغدادَ، في رسـالةٍ شـخصيّةٍ مُؤرَّخةٍ يوم ١ آذار ١٩٣٦م (أَي بعدَ أُسـبوعٍ من وفاةِ الزَّهاويِّ)، تضمَّنَـتْ سَرْدًا مُوثَّقًـا لتفاصيلِ السّـاعاتِ الأَخيرةِ في حياتِه ولحظـةِ موتِه، وما شـهده مجلسُ عزائه من مواقفَ، قال فيها المعلوفُ: "لا شـكَّ أَنَّكَ عرفتَ بوفاةِ الشَّـاعرِ الكبيرِ الزَّهاويِّ، وقد فهمتُ أَنَّه قبلَ وفاتِه كانَ في قهوةِ أَمينٍ[١٢] حسـبَ عادتِه، ولم يكنْ يشكو شـيئًا، وقبلَ المغربِ عادَ إِلى البيتِ، واستلقى على فراشِه، ودعا زوجتَه لِتغمِّزه (لِتَفرُكَ له)، فلبَّتِ الزَّوجةُ طلبَه، إِلّا أَنَّها لاحظتْ بعدَ دقيقةٍ أَنَّ زوجَها لا حـرارةَ فيـه، فنادتْه ولكنْ بدونِ جـوابٍ..."[١٣].

---

(١٠) []. طُبِعَتْ في مطبعةِ دارِ الأَيتامِ ببغدادَ سـنةَ ١٩١٤م، وهي تقـعُ في ١٤٤ صفحةً. وتأَخَّـرَ بذلكَ تحقيقُ هذا المُعجَمِ الفريدِ ونَشْره أَكثرَ من سِتَّةِ عُقُودٍ، حتَّى قُيِّضَ له مَن يُعيدُ إِليه الحياةَ مُحقَّقًا على يدِ تلامذةِ تلاميذه، وببغدادَ أَيضًا.

(١١) عُنوانُـه: «رسـالةٌ في الكتابـةِ العربيّـةِ المنقَّحَةِ»، وهو يقـعُ في (٢٥صفحـةً)، طُبِـعَ ببغدادَ سـنةَ ١٩٣٥م، وعاونَه على تنفيذِ رُسـومِ الحُـرُوفِ والرُّموزِ المُقترحةِ الخطّـاطُ عبدُ الرَّزّاقِ بنُ مُحمَّد الحاجّ فليِّح البغداديُّ. وقد أَوردَ گورگيس عَوّاد هذا الكتابَ ضمن مطبوعاتِ سـنةِ ١٩٣٦م في كتابِه المرجعيِّ «الأَبُ أَنِسْتاس ماري الكرمـليُّ، حياتُه ومُؤلَّفاتُـه» الصّادرِ سـنةَ ١٩٦٦م: ص٢٠١. لكنَّـه عـادَ فوضعَه ضمنَ مطبوعاتِ سـنةِ ١٩٣٥م في كتابِـه المرجعـيِّ الّـذي تـلاه بعـد ثلاثـةِ أَعـوامٍ: «مُعجَمُ المُؤلِّفـينَ العراقيِّين في القرنِ التّاسـعَ عـشرَ والعشريـن (١٨٠٠- ١٩٦٩م)، بغدادُ، مطبعةُ الإِرشادِ، ١٩٦٩م: ١/ ١٥٣. وهو التّاريخُ الصَّحيحُ.

(١٢) قهوةُ أَمينٍ هذه، هي نفسُـها الّتي تُسمَّى اليومَ مَقْهى الزَّهاويِّ المُطِلَّةَ على شارعِ الرَّشيدِ وسْطَ بغدادَ، والّتي جرى ترميمُهـا مُؤخَّرًا ضمنَ مشروعِ إِعـادةِ التَّأْهيلِ لهذا الشّارعِ التُّراثيِّ.

(١٣) «في الذِّكـرى الـ ٨٥ لرحيلِ الشّـاعرِ التَّنويريِّ، وقائعُ

ثـمّ أَردفَ ذلـكَ الطَّبيبُ الّـذي له اهتمامـاتٌ أَدبيّةٌ ولُغويّـةٌ، وكانَ من الـرُّوّادِ المُواظِبينَ عـلى حُضُورِ مجلـسٍ أَدبيٍّ كانَ الكرمليُّ يُقيمُـه صبيحةَ كُلِّ يومِ جُمُعَةٍ في مقره بكنيسـةِ اللّاتـينِ ببغدادَ: "وقيلَ إِنَّ رجالَ الدِّيـنِ أَضْربوا عن حُضُـورِ مجلسِ الفاتحةِ بحُجَّةِ أَنَّ الرَّجُلَ كانَ مُلْحِدًا، إِلّا أَنَّ البعضَ (ثلاثةً) حضرَ الفاتحةَ؛ لأَنَّ الرَّجلَ- رحمَه اللهُ- قالَ في أَثناءِ وُجُوده في المَقْهى: استغفرُ اللهَ!"[١٤].

وأَظـنُّ أَنَّ الكرمليَّ كانَ على ثقةٍ من أَنَّ الزَّهاويَّ لـم يكنْ يسـتقرُّ عـلى حـالٍ في بعضِ دَعـاواه، ولا سـيّما فيما يخـصُّ العامِّيّـةَ والفُصْحـى، بوصْفِه شـاعِرًا وكاتبًا مشـهورًا، وهذه اللُّغةُ الفُصْحى هي أَداتُـه الأُولى للتَّعبـيرِ عن الذّاتِ. ولعلَّـه بِعَقْده هذه الصَّداقةَ وحِرْصِه عـلى ديمومتِها ومتانتِها، أَرادَ أَن يكسبَ شاعرًا كبيرًا في صُفُوفِ المُؤازرينَ لهذه اللُّغةِ الكريمـةِ، فلقد كانَ الكرمليُّ هو مَن رشَّـحَه وزكّاه سـنةَ ١٩٢٣م لعُضويّةِ أَوَّلِ مجمعٍ للُّغـةِ العربيّة، هو المجمـعُ العلميُّ العربيُّ بدمشـقَ (مجمعُ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشـقَ حاليًّا)، وقُوبِلَ ترشيحُه بالمُوافقةِ وتزكيتُه بالتَّقديرِ من رئاسةِ ذلك المجمعِ الرّائدِ[١٥]،

فصارا زميلَيْنِ فيه.

ولعـلَّ كلامَ الزَّهاويَّ الحماسيَّ عن لُغةِ الضّادِ في حفْلِ اليوبيلِ الذَّهبيِّ لبدءِ اشـتغال الكرمليِّ بتعليمِ اللُّغةِ العربيّة وآدابِها سـنةَ ١٩٢٨م، يدلُّ على مدى تحوُّلاتِه في المجالِ، كما سنرى في موضعٍ لاحقٍ[١٦].

وفتحَ الكرمليُّ صَدْرَ مجلَّتِه (لُغة العرب) واسعًا للزَّهاويِّ، فكانَ من كِبارِ الكُتّابِ والأُدباءِ المُساهِمينَ بالكتابـةِ فيها، وخَصَّها ببعـضٍ من جِيادِ قصائده وأَبـرز مقالاتِه، ولقد أَحصيتُ مـا نَشَرَ في مُجلَّداتِها التِّسـعةِ بمرحلتَـي صُدُورِهـا (١٩١١- ١٩١٤م، و١٩٢٦- ١٩٣١م)، فظهـرَ أَنَّـه نـشرَ ثلاثَ عشرةَ مادَّةً في سبعةٍ من مُجلَّداتِها التِّسعةِ، وغابت كتاباتُه عـن المُجلَّدَينِ الأَوَّلِ والثّامنِ فقط. ولا شـكَّ أَنَّ ثمَّةَ مقـالاتٍ له فيها نُـشِرتْ غَفْلًا من الاسـمِ، كمقالاتِه المُتسلسـلةِ سـنةَ ١٩٢٨م في نقْـدِ ديـوانِ العقّـادَ

اليوم الأَخير في حياةِ الزَّهاويِّ»، حُسـين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (الشَّـبَكة العراقيّة) الصّادرةُ ببغدادَ عن شـبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٣٧٨، الصّادرُ يومَ ٢٨ شُباط/فبراير ٢٠٢١م: ص٤٠- ٤١.

(١٤) المرجعُ السّابقُ.

(١٥) تُنْظَرُ بهذا الشّـأنِ الرِّسـالةُ الثّامنـةُ والعشرونَ الّتي بعثَ بها رئيسُ المجمعِ مُحمَّد كُرْد علي إلى الكرمليِّ يوم ٣٠ أَيّار/مايـو ١٩٢٣م، الّتي كُنتُ نشرتُها في كتابي: «رسـائلُ الأُسـتاذِ الرَّئيـسِ مُحمَّـد كُرْد عـلي إلى الأَبِ أَنسْـتاس ماري الكرمليِّ»، الصّـادرِ بطبْعَتِه الأُولى عن مجمعِ اللُّغةِ العربيّة بدمشقَ، سنةَ ٢٠٠٠م: ص١٠٢. وجاءَ فيها قولُه: «يشـكركُم المجمعُ شُـكْرًا جزيلًا على مقالاتِكم الكثيرةِ الفوائدِ، وعلى ترشـيحِكم الأُستاذَيْنِ الشَّـيْخِ جميـل صِدْقـي الزَّهـاويِّ، والشَّـيْخِ كاظِـم الدُّجيليِّ، والعَلّامةِ أَرنسـت أَرزفيلـد لعُضْويّةِ المجمعِ. أَمّا المقالاتُ فستُنشَرُ في أَعدادِ المجلّةِ على التَّوالي إِنْ شاءَ اللهُ. وأَمّا المُرشَّـحونَ، فقد تذاكرَ المجمعُ في شأْنِهم، في جلسـتِه العامّةِ المُنعقِدةِ في ٢٥ أَيّار سنةَ ٩٢٣، فتقرَّرَ انتخابُهـم بالإجماعِ، اعتمادًا على شـهادتِكم الصّادقةِ وثقتِكم التّامّةِ، وسيكتبُ إِلى كُلٍّ منهم بَلاغًا بذلكَ».

(١٦) وفي هـذا الشّـأنِ كتبَ صديقُـه الأَديـبُ المعروف طه الرّاويُّ (١٨٩٠- ١٩٤٦م) في مقالتِه الرِّثائيةِ: «جميل صِدْقـي الزَّهـاويُّ»، (مجلّة المجمع العلمـيِّ العربيِّ) الدّمشـقيّةُ، العددُ المُزدوجُ السّـابعُ والثّامن من المُجلَّدِ ١٤، تَمُّوز/يوليو، وآب/أُغُسْطُس ١٩٣٦م: ص٢٥١. الآتي بحقِّـه: «يَدينُ بالقوميّةِ، ويُناضِـلُ عن العربيّةِ، سـمعتُه يُناظِرُ أَحـدَ الأُدباءِ في هذا الموضـوعِ، ويدعَمُ آراءَه بالبراهينِ، وبالأَخيرِ تمثَّلَ بقولِ الحماسيِّ:

وهلْ أَنا إِلّا مِن غَزِيَّةَ إِنْ غَوَتْ
غَوَيْتُ، وإِن تَرْشُد غَزِيَّةُ أَرْشُدِ».

«جميل صِدْقي الزَّهاويُّ»، المنشورةُ في (مجلّة المجمع العلميِّ العربيِّ) الدّمشقيّة، العددُ المُزدوجُ السّابعُ والثّامن من المُجلَّـدِ ١٤، تَمُّوز/يوليـو، وآب/أُغُسْـطُس ١٩٣٦م: ص٢٥٥. وختمَها مُثْنِيًا بقولِه: «وهذه مأثرةٌ للحُكومةِ سيحفَظُها لها التّاريخُ».

"أَشــجان اللَّيلِ" الصّــادرِ في ذلك العــامِ[١٧]، الّتي كشــفَ عنها الباحثُ عبــد الرَّزّاق الهــلاليُّ في كتابٍ أَصدرَه بالقاهرةِ ســنةَ ١٩٧٦م بعُنوان: "الزَّهاويُّ الشّاعرُ الفيلسوفُ والكاتِبُ المُفكِّرُ"[١٨].

كما كانَ الزَّهاويُّ مــن بينِ نُخْبةِ مُثقَّفي بغدادَ، الّذيــن ســعوا ســنةَ ١٩٢٨م للاحتفــاءِ باليوبيــلِ الذَّهَبــيِّ ومُــرُورِ ٥٠ عامًــا عــلى اشــتغالِ الكرمليِّ بتعليمِ اللُّغةِ العربيّةِ وآدابِها، بمهرجانٍ كبيرٍ وفريدٍ وغيرِ مسبوقٍ، تنادَوا إلى إقامتِه ببغدادَ ورعاهُ عامئذٍ رئيسُ الوزراء عبد المُحســن السَّــعْدون، وسُــجِّلَتْ وقائعُــه في عددٍ خاصٍّ من مجلَّــةِ (لُغة العرب)[١٩]. وقــد انتخبتِ اللَّجْنةُ الرَّســميّةُ المُــوكَلُ إليها تنظيمُ الحَفْــلِ، بالإجمــاعِ، الزَّهاويَّ رئيسًــا لهــا، وراويَ شــعره الأَديبَ المُترجمَ أَحمد حامد الــصَّرّافَ كَتُوْمًا (ســكرتيرًا) للَّجنةِ، اللَّذينِ وَجَّهَا باسميهما عشراتِ الدَّعواتِ إلى كِبارِ الشَّــخصيّاتِ الأَدبيّةِ والفِكْريّةِ في العراقِ والبلادِ العربيّةِ والعالَمِ، ومُحرِّري الصُّحُفِ والمجلّاتِ الكبــيرةِ، لحُضُورِ الحفْــلِ في موعدٍ تأَجَّلَ أَخــيرًا إلى يــومِ الأَحــدِ السّــابعِ من تشريــنَ الأَوَّلِ/ اكتوبر ١٩٢٨م.

ومِمّا جاء في صَدْرِ الدَّعوةِ الّتي وجَّهَها الزَّهاويُّ يومَ الاثنينِ الثّاني من تمُّوزَ/ يوليو ١٩٢٨م، قولُه: "الغربُ قد ســبقَ الشَّرْقَ، والشَّرْقُ قد انتبهَ وســارَ يُحاولُ أَن يلْحَقَ بالغربِ. وقد مضى اليابانُ في سبيلِ التَّقدُّمِ كقُنبلةٍ خرجتْ من فــمِ مِدْفَعٍ ضَخْمٍ، وهبَّتِ العُروبةُ مــن رَقْدَتِها، ونَفَضَتْ عنها غُبارَ الكسَــلِ، فأَخــذتْ تُسرِعُ الخُطى إلى الأَمامِ برغمِ الأَثقالِ الّتي تُثَبِّطُها، عالِمةً أَنَّ حيــاةَ الأُممِ في تقدُّمِها، وأَنَّ الأُمَّةَ الّتــي لا حــراكَ لها في هذا السِّــباقِ العامِّ تســحقُها الأَرْجُــلُ. والأَملُ أَن تكونَ في مُقدِّمــةِ الأُممِ الشَّرْقيّةِ، فتُرْجِــعَ تُراثَ أَجدادِها من مجــدٍ ضائعٍ، وتزيدَ على ذلك المَجْــدِ التَّليدِ مَجْــدًا طريفًا، فتُثبِــتُ للمَلأِ أَنَّها تستحقُّ الحياةَ، وأَنَّها سوفَ تَحْيا، ثُمَّ تَحْيا".

وأَردفَ الزَّهاويُّ مُتحدِّثًــا عن فحوى الاحتفالِ: "ولَمّا كانَ العَلّامةُ الأَبُ أَنِسْتاس ماري الكرمليُّ من الّذيــن أَنجبَهم العراقُ نابغةً في العُلُومِ العربيّةِ، وقد خدمَ اللُّغةَ بصِدْقِ خمســينَ عامًا خِدمةً لا يجحدُها كُلُّ مَــن طُبِعَــتْ نفسُــه عــلى الإنصــافِ، وكانَ من تباشــيرِ كُلِّ نهضــةٍ صادقــةٍ أَن تُقدِّرَ الأُمَّــةُ جُهُودَ عُلمائهــا الفطاحِلِ، رأى فُضَــلاءُ العراقِ أَنَّ الواجبَ يدعوهم إلى تكريمِه، اعترافًــا بفضْلِه الجَمِّ، فتألَّفتْ في بغــدادَ لَجْنةٌ لهــذا الغرضِ الشَّريــفِ، وشرَّفتني برئاستِها، فجئتُ أَدعو باسمِ اللُّغةِ العربيّةِ المحبوبةِ رجالَ العِلْمِ والأَدبِ في العراقِ وبقيّةِ الأَقطارِ العربيّةِ من شُــعراءَ وعُلمــاءَ وكُتّابٍ إلى الاشــتراكِ في تكريمِ الأَبِ الّذي نُكرِّمُ فيه العِلْمَ واللُّغةَ".

وفي يــومِ انعقــادِ الحفْــلِ كانَ الزَّهــاويُّ أَوَّلَ المُتحدِّثينَ بإلقائه خُطْبةَ الافتتاحِ، وأَبرزَ المُشاركينَ،

---

(١٧) نُشِرتْ غَفْلًا من التَّوقيعِ في المجلَّدِ السّــادسِ من مجلَّةِ (لُغة العرب)، الصّادرِ سنة ١٩٢٨م: ص٣٠٩- ٣١٦، ٣٩٠- ٣٩٦، ٣٦٨- ٤٧٤، ٥٤٨- ٥٥٤، ٦٢٣- ٦٣٤، ٧١١- ٧١٥ تحتَ عُنوان: «نَقْدُ ديوانِ العَقّاد».

(١٨) لــم يكنِ الهــلالُّي يعلمُ أَنَّــه ســبقَه إلى التَّصريحِ بذلكَ الكَشّــفِ الدّكتــور مُصطفى جَــواد، وذلكَ في ســيرتِه المنشــورةِ- قُبيلَ وفاتِه ســنةَ ١٩٦٩م- في الجُزءِ الأَوَّلِ مــن كتابِ د. يُوسُــف عزِّ الدِّيــن: «شُــعراءُ العراقِ في القــرنِ العشريــن»، مطبعةُ أَســعد، بغــداد، ١٩٦٩م. وجاءَ فيهــا (١/١٦٧) قولُه: «وداومتُ النَّشْرَ في مجلَّةِ (لُغة العرب) نَثْرًا ونَظْمًا، وساعدتُ الأَبَ أَنِسْتاسَ على تحريرِ المجلَّةِ مجّانًا، وكُنتُ أَرى الأُستاذَ جميل صِدْقي الزَّهــاويَّ يحضرُ دَيْرَ الأَبِ أَنِسْــتاسَ ويكتبُ نَقْدًا على عبّاس محمود العَقّادِ في ديوانِ شِعْره، ويُخرِجُه باسمِ المجلَّةِ».

(١٩) هو الجُزءُ الأَوَّلُ من المجلَّدِ السّــابعِ، الصّادرُ في كانونَ الثّاني/يناير ١٩٢٩م.

ونجْـمَ المهرجانِ السّـاطعَ، ولا سـيما بعـدَ إلقائه قصيدتَه البائيّـةَ في الثَّناءِ على الكرمليِّ وجهاده على مـدى نصْفِ قـرْنٍ لإعلاءِ لُغـةِ الضّـادِ، ومنها هذه الأَبياتُ المُعبِّرةُ عن تقديره:

حَفِلْنا بأُستاذٍ تَبَحَّرَ فـــــي اللُّـغَى
ولا سِيـَّما الفُصْحى سليلةَ يَعْرُبِ
وإنَّ أَنِسْتاسًا هُـــــــو السَّنَدُ الّذي
هَمَى عِلْمَه للظّامئيْـــــنَ كَصَيِّبِ
تَرَهَّبَ يَرْعى العِلْمَ خمسينَ حِجَّةً
فأَكْبِرْبِـهِ مِـــــن عالِمٍ مُتَرَهِّبِ[٢٠]

ومِمّا يسـتحقُّ التَّوقُّفَ عنده مليًّا من وقائعِ هذا الحفْلِ، ما وردَ في كلمةِ كَتُوْمٍ (سكرتيرِ) لَجْنتِه أَحمد حامد الصَّرّافِ من تشـبيهٍ للصَّداقـةِ المديدةِ المتينةِ المُحْكمةِ العُـرى بين الزَّهاويِّ والكرمـليِّ، بأُنموذجٍ مُماثلٍ من العـصْرِ العبّاسيِّ لا يزالُ يُلْهِمُ العراقيِّينَ: "إنَّ هـذا الوِدادَ المُتبادَلَ بين الـرَّضيِّ والصّابي قبلَ قُرُون، وبينَ الزَّهاويِّ والكرمليِّ اليومَ بُرهانٌ ساطِعٌ على أَنَّ المسـلمينَ من العربِ يعيشـونَ مع إخوانِهم العربِ المسـيحيِّينَ بوِئامٍ ووِفاقٍ وإِخـاءٍ، تجمعُهم الجامعةُ الوطنيّةُ وتربطُهم الرّابطةُ القوميّةُ"[٢١].

أَدبُ الرَّسائلِ وكُشوفُه:

يُعـدُّ أَدبُ الرَّسـائلِ، مـن بـينِ ضُرُوبِ الأَدبِ غيرِ المُحتفـى بها- من أَسـفٍ- في ثقافتِنا العراقيّةِ والعربيّـةِ المُعـاصرةِ إلّا قليلًا، مع أَنَّ لـه- بوصْفِه وسـيلةً للتَّلاقُحِ الفِكْريِّ والتّأثـيرِ فضْلًا عن غرضِهِ التَّواصُـليِّ المُباشِرِ- تقاليدَ مُمتـدَّةً في عُمْقِ تاريخِنا في أَزهى عُصُوره الذَّهبيّـةِ، ويمتازُ بوَفْرةِ ما يُمكنُ أَن يُقدِّمَـه لتاريـخِ الأَدبِ وأَعلامِـه وقضايـاه مـن كُشُوفٍ يصعبُ استقاؤها من غيرِ مَعيْنِه؛ فالرَّسائلُ الشَّـخصيّةُ المُتبادلَةُ بين الأُدباءِ وعُمُومِ المُشتغِلينَ في حُقُـولِ الثَّقافةِ- بعفويَّتِهـا، وحرارتِها، ووظيفتِها الآنيّـةِ، وابتعادِهـا عن الاصطنـاعِ غالِبًـا، واعتقادِ مُرْسـلِها في أَوانِ تدوينِها أَنَّ حياتَها تنتهي بانتهاءِ مُهمَّتِهـا اللَّحظيّـةِ، ولـن تتحـوَّلَ إلى وثيقـةٍ- تُعَدُّ كاشِـفةً في كثيرٍ من الأَحيانِ عن سِماتِ كاتبِها، وعن حقيقتِـه الجوّانيّةِ ومدى اقترابِ مواقفِـه المُعْلنةِ في كتاباتِه المنشـورةِ أَو ابتعادِها عنها. وتكشفُ كذلكَ عن أُسـلوبِه في التَّرسُّلِ السَّريعِ، ومُسـتواه اللُّغويِّ، ومـدى تضلُّعِه من عِلْمِ النَّحْـوِ، وحِرْصِه على الدِّقّةِ في الإِمـلاءِ، وتوخِّيـه جمالَ الخطِّ.. وهـي في الجُمْلةِ تظهره من دُونِ تَزْويقٍ غالِبًا؛ ولذلكَ فهي تُضيفُ- في كثيرٍ من نماذجِها- لسيرةِ كاتبِها ملامحَ وعناصرَ مُثـيرةً يُهْمِلُها التّاريخُ عـادةً ولا يُعنى بها. ويُمكنُ لكُتّـابِ السِّـيَرِ والباحثـينَ في تاريخِ الشَّـخصيّاتِ استثمارُ هذه العناصرِ والملامحِ وتوظيفُها في إعادةِ تدويـنِ السِّـيرةِ الغَيْريّةِ للشَّـخصيّاتِ الثَّقافيّةِ على نَحْـوٍ أَكثرَ موضوعيّةً وحيويّـةً وصِدْقًا. كما يُمكنُ، مـن المُعطياتِ الّتـي يُقدِّمُهـا أَدبُ الرَّسـائلِ، فَهْمُ بعضِ المسـكوتِ عنه مـن إِشـكاليّاتِ كُتّابِه حيالَ

---

(٢٠) «في يوبيلِ أَنِسْتانسَ الذَّهبيِّ، قصيدةٌ لشاعرِ الفلاسفةِ وفيلسـوفِ الشُّـعراء جميل صِدْقي الزَّهاويِّ»، مجلَّةُ (لُغة العرب): الجُزءُ الأَوَّلُ من المُجلَّدِ السّـابعِ، الصّادرُ في كانـونَ الثّاني/يناير ١٩٢٩م: ص٢- ٥. وتقـعُ القصيـدةُ في ٧٦ بيْتًا، أَعادَ الزَّهاويُّ نشْرَ ٤٣ بَيْتًا منها في الصَّفحاتِ (٩- ١٢) من ديوانِه الخامسِ «الأَوشال» بعُنـوان «يوبيلُ العَلّامةِ الكرمليِّ». وهذا الدِّيوانُ «طُبِعَ في مطبعـةِ بغـداد ٢٠ أَيلـول ١٩٣٤» كما دُوِّنَ على غلافِـه. ويُلاحظُ أَنَّ الزَّهاويَّ لم يُـدرجْ البيتَيْنِ الأَوَّلَيْنِ اللَّذَيْنِ استشـهدتُ بهما في المَتْـنِ، ولعلَّه إِنّما فعل ذلك كي لا يُحْسَبَ عليه أَنَّه من شُعراء المديحِ.

(٢١) «كلمـةُ كَتُـوْمٍ اللَّجْنـةِ (سـكرتيرها)»، أَحمـد حامـد الصَّرّافُ، مجلَّةُ (لُغة العـرب): الجُزءُ الأَوَّلُ من المُجلَّدِ السّـابعِ، الصّـادرُ في كانـونَ الثّاني/يناير ١٩٢٩م: ص١٠.

قضايـا مُؤثِّرةٍ في زمانِهم قد لا نجدُه على المُستوى نفسِـه من المصداقيّةِ عند تدوينِهم سِيَرًا ذاتيّةً رُبَّما يُراعـونَ فيها تبايُنَ الظُّـرُوفِ والمصالِحِ، واختلافَ المِـزاجِ العـامِّ، وتغيُّرَ مراكـزِ القُوّةِ ودوائـرِ النُّفُوذِ المُتنوِّعةِ، هذا فضْلًا عن التَّعرُّفِ الدَّقيقِ على خلفيّاتِ بعضِ الأَحداثِ والوقائعِ المُلْتبسـةِ، وتسليطِ الضَّوءِ على مسـائلَ شـتَّى غيرِ مُتوقَّعـةٍ لا تُقـدِّمُ المصادرُ المُوازيةُ تفاصيلَ شـافيةً عنها. ونجدُ شيئًا من هذا كُلِّه عـلى نحْوٍ مُتفاوتٍ في رسـائلِ الزَّهاويِّ الاثنتي عشرةَ المُنتقاةِ هُنا.

الطّابعُ البرْقيُّ لرسائلِ الزَّهاويِّ:

يميـلُ الزَّهاويُّ في رسـائلِه هـذه، إلى الاقتضاب والاختـزالِ في الأَغلـبِ الأَعـمِّ، فعـشرٌ منهـا ينطبقُ عليها هذا الوصْفُ، فيما شـذَّتِ اثنتانِ منها فكانتا متوسِّـطتي الحَجْمِ، هُما الثّالثةُ الّتـي فَهْرَسَ فيها بعـضَ مخطوطاتِـه، والسّـابعةُ الّتي حـاولَ فيها شَرْحَ بيتَيْنِ من قصيدةٍ لأَحدِ شُـعراءِ صَدْرِ الإسلامِ والعصْرِ الأُمَويِّ. وهذا المَيلُ مفهومٌ، فنمَطُ مُراسلاتٍ، كهـذه، بين أَديبَيْنِ في مدينةٍ واحدةٍ كثيرًا ما يلتقيانِ دَوْريًّـا، تسـتجيبُ عـادةً لحـالاتِ الـضَّرورة ولِما هـو طارئٌ، ويغلـبُ عليها- لأَجْلِ هـذا- الاختصارُ والطّابِـعُ البَرْقـيُّ، ومع ذلك فهي تُقدِّمُ بإشـاراتِها المُقتضبةِ كثيرًا من المُعطياتِ للباحثِ والمُؤرِّخِ المُهتمِّ بسِيَرِ الأَعلامِ وتشـابُكِ صلاتِهم البَيْنيّةِ داخلَ البلادِ وخارجَهـا، ممّا لا يجـودُ به التّاريـخُ ولا تحفلُ به السِّيَرُ المُدوَّنةُ بأَقلامِهم.

مقاصِدُ الزَّهاويِّ في كتابةِ رسائلِه:

إذا كُنّـا قـد أَشَرْنا إلى المضامينِ العامَّةِ لرسـائلِ الزَّهـاويِّ في غيرِ موضِـعٍ، فإنّها تنقسـمُ من حيثُ مقاصـدُ كتابتِهـا إلى الآتي، وبينَها ما هو مُشـتركُ الغَرَضِ أَشرتُ إليه (بين قوسَيْنِ هلاليَّتَيْنِ):

١. يُجيـبُ فيها على سُـؤالٍ (أَو أَكثـرَ) وجَّهَهُ إليه الكرمـليُّ: [الرّسـائلُ: ١ و٣ و٧ (مُشـترَكةُ الغَرَضِ) و١٠ (مُشترَكةُ الغَرَضِ)] .
٢. يطلبُ فيها من الكرمليِّ أَمرًا مُحدَّدًا: كأَن يطلبَ (كتابًا، مجلَّةً) أَو يُعيدَهما [الرَّسائلُ: ٢ و٤ و٦ و٨]، أو وِساطةً [الرِّسالةُ]٥. أَو تسويةً ماليّةً [الرِّسالة: ١٠ (مُشترَكةُ الغَرَضِ)] .
٣. يرجو فيها الكرمليَّ أَن يُساعده في توجيهِ رسائلِه وهدايـاه مـن دواوينِـه وكُتُبِه إلى شـخصيّاتٍ ثقافيّـةٍ خـارجَ العـراقِ تتواصلُ مـع الكرمليِّ بريديًّا: [الرَّسائلُ: ٧ (مُشـترَكةُ الغَرَضِ) و٩، و]١١.
٤. يُحيطُ الكرمليَّ عِلْمًـا بأَمرٍ ما هو مُنهمِكٌ فيه [الرِّسالةُ]١٢.

أُسلوبُ الزَّهاويِّ في مُخاطبةِ الكرمليِّ:

الزَّهاويُّ أَسـنُّ من الكرمليِّ بثلاثـةِ أَعوامٍ، لكنَّه كانَ يُخاطِبُه في مُفتتَحِ رسـائلِه بتوقيرٍ شديدٍ دائمًا، وبصيغـةٍ أَقـربُ إلى المُخاطبـةِ الرَّسـميّةِ منهـا إلى مُخاطبـةِ الأَصدقاءِ فيمـا بينَهم، ولعلَّ منشـأَ ذلك كونُـه راهبًا مُتبتِّلًا مُنْقَطِعًا في شَـطْرٍ من أَوقاتِه إلى واجباتِـه الدِّينيّةِ، وفي الشَّـطْرِ الآخرِ إلى انشـغالاتِه الكِتابيَّـةِ والبحْثيّـةِ الرَّصينـةِ. فمِـن بينِ رسـائلِه الاثنتي عشرةَ يُلاحَظُ أَنَّه اسـتهلَّ عشْرًا منها بلفظةِ (حـضرةُ)، واسـتخدمَ بعدَها هـذه الصِّفـاتِ مرَّةً

وحيـدةً لـكُلٍّ منهـا: (الأَبِ العَلّامةِ أَنِسْـتاسَ طالَ عُمره) وهي المرَّةُ الوحيدةُ الّتي خاطبَه في الرَّسـائل كُلِّها باسمِه، (العَلّامةِ)، (الأُستاذِ المُحترم)، (العَلّامةِ الأُسـتاذِ). كما استخدمَ بعدَها صفةَ (الأَبِ العَلّامةِ) مرَّتَيْنِ، واسـتخدمَ بعدَها صِفةَ (الأُسـتاذِ العَلّامةِ) أَربعَ مرَّاتٍ.

وشَـذَّتْ رسالتانِ عن لازمةِ المُفْتَتَحِ هذه، استهلَّ واحدةً بعبارةِ: (الأُسـتاذُ العَلّامةُ)، وهي المُؤرَّخةُ في ٢٧ شُباط/ فبراير ١٩٢٩م، وابتدأَ الأُخرى بعبارةِ: (سيِّدي العلّامةَ)، وهي الرِّسالةُ الأَخيرةُ.

وإذا كانتْ صِيَغُ مطالِعِ الرَّسائلِ تتّسمُ بشيٍ من التَّماثُـلِ، فإنَّ صِيَـغَ خواتيمِها قـد تنوَّعتْ من غيرِ تكرارٍ في ثماني رسـائلَ على هذا النَّحْوِ: (والسَّـلامُ عليكـم ورحمةُ اللـهِ وبركاتُه)، (ثُمَّ عليكم السَّـلامُ أَيُّها الأَبُ الكريمُ)، (أَيُّها الأُسـتاذُ الكريمُ)، (شـاكِرًا لفضلِكم العميمِ)، (سـيِّدي)، (فأكـونُ لحضرتِكم مـن الشّـاكرينَ)، (ولكم مِنِّـي كُلُّ الشُّـكْرِ)، (ولكَ احترامـي). فيما تكـرَّرتْ الصِّيغتانِ: (والسَّـلام)، (واقبلوا احتراماتي)، مرَّتَيْنِ لِكُلٍّ منهما.

ويبدو أَنَّ سماتِ الاحترامِ والتَّوقيرِ الّذي اتّسمتْ بـه، إجمالًا، الرَّسـائلُ في مطالِعِهـا وخواتيمِها، قد اقتضـتْ أَيضًـا اتِّصافَها بالحِيـادِ العاطفيِّ، ولعلَّ تواصُـلَ اللِّقاءاتِ المُباشرةِ بينهما هو ما أَضفى على الرَّسـائلِ هـذا الفَقْرَ في إبـداءِ المشـاعرِ كِتابيًّا. على أَنَّ الرَّسـالةَ الأُولى شـذَّتْ عن هذا الحُكْمِ، وتفرَّدتْ بأَربـعِ ميزاتٍ لـم تتكرَّرْ في سِـواها، فقـد احتوى استهلالُها على ذِكْرِ اسمِ الكرمليِّ الأَوَّلِ، مع دُعاءٍ له بقولِه: «حضرةُ الأَبِ العَلّامةِ أَنِسْـتاسَ طالَ عُمره»، واختُتِمتْ بتحيّةٍ لم تتكرَّرْ: «والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُـه»، ووضعَ الزَّهاويُّ قبلَ اسـمِه عبارة التَّودُّدِ هذه: «مُحِبُّكم».

تواريـخُ الرَّسـائلِ والتَّقويمـانِ المُعتمَـدانِ فيها:

كتـبَ الزَّهاويُّ رسـائلَه الاثنتي عـشرةَ في ثلاثةِ عُهُـودٍ مُتباينةٍ سياسـيًّا، فالرَّسـائلِ الأَربـعُ الأُولى وُجِّهَتْ في العهْدِ العُثمانيِّ الأَخيرِ (١٩٠٨-١٩١٣م)، والرِّسالتانِ التاليتانِ وُجِّهَتا في العامِ الأَولِ من عهْدِ الاحتلالِ البريطانيِّ المُباشرِ (١٩١٧م)، والرَّسـائلِ الستُّ الأَخيرةِ وُجِّهتْ في عهْدِ الحُكْمِ المَلَكيِّ الخاضِعِ يومئـذٍ لسُـلطةِ الانتـدابِ البريطانـيِّ (١٩٢٨-١٩٣٢م). وانعكـسَ هذا التَّباينُ على طريقةِ توثيقِ الزَّهاويِّ لتواريخِ رسائلِه كما سنرى.

أَرَّخَ الزَّهـاويُّ ثمانـيَ من رسـائلِه إلى الكرمليِّ، في حـين تركَ أَرْبعًا منهـا غَفْلًا مـن التّاريخِ (وهي الرَّسـائلُ ذواتُ الأَرقـامِ: ١، ٨، ١١، ١٢)، فتكفَّـلَ الكرمليُّ، الحريصُ على التَّوثيـقِ والمَعْنيُّ بالتَّدقيقِ، بتدوينَ تواريخَها بالتَّقويمِ الميلاديِّ فقط في العُهُودِ الثّلاثةِ.

واسـتخدمَ الزَّهاويُّ في تدوينِ تواريخِ الرَّسائلِ تقويمَينِ مُختلفَيْنِ، وهما:

١. التَّقويـمُ الهِجْريُّ الشَّـمسيُّ: وهـو تقويمٌ غيرُ معروفٍ، حاليًّا، على نِطاقٍ واسـعٍ، اسـتحدثتْه الدَّولةُ العُثمانيّةُ لأَسـبابٍ اقتصاديّةٍ في عهْدِها الأَخـيرِ، واتَّخذتْـهُ تقويمًـا رسـميًّا مُعتمَدًا في ولاياتِهـا كُلِّهـا ابتـداءً بسـنةِ ١٢٥٦هـ (= ١٨٤٠م) بعـدَ أن كانـت تسـتخدمُ التَّقويـمَ الهِجْريَّ (القَمَريَّ) المُعتـادَ في القُرُونِ الماضيةِ حتَّى اليومَ، وسُمِّيَ بالسِّنينِ الماليّةِ الرُّوميّةِ[٢٢]،

(٢٢) لمزيدٍ من المعلوماتِ بشأنِ هذا التَّقويم، وكيفيّةِ تحويلِه إلى التّقويمينِ الميلاديِّ والهِجْريِّ، يُنْظَرُ بحْثُ د. مُحمَّد صِدِّيق الجليليِّ: «التَّقويمُ الشَّـمْسيُّ العُثمانيُّ المُسـمَّى بالسِّـنينِ الماليّةِ الرُّوْمِيّـةِ» المنشـورُ في (مجلّة المجمعِ

وهو يبتدئُ في شـهْر مـارت (= آذار / مارس) من كُلِّ عـامٍ، ويجمعُ بـينَ التَّقويمَيْنِ الهِجريِّ والميلاديِّ، ويمزجُ بين أَسـماءِ الأَشـهُرِ فيهما. ولأَنَّه التَّقويمُ الرَّسْـميُّ للدَّولةِ، اعتادَ الزَّهاويُّ اسـتخدامَه في شُـؤونِها كُلِّهـا، بوصفْـهِ أَحـدَ مُوظَّفيها، ولذلكَ لم يسـتخدمْ سِواه في رسائلِه الثَّـلاثِ المُؤرَّخـةِ في العهـدِ العُثمانـيِّ (وهـي الرَّسـائلُ المُتسلسـلةُ ذواتُ الأَرقامِ: ٢، ٣، ٤). وقد حـوَّلَ الكرمليُّ تاريـخَ الرِّسـالةِ الأُولى إلى التَّقويـمِ الميـلاديِّ، وتـركَ الأُخريَـيْنِ، فتولّيتُ تحويلَهما.

٢. التّقويـمُ الميـلاديُّ، المُتَّبعُ حاليًّا، في رسـائله الأُخرى ابتداءً بسنةِ ١٩١٧م.

ومن بـينِ رسـائلِه الثّماني المُؤرَّخـةِ، دَرَجَ على كتابـةِ تواريخِهـا في نهاياتِها، سـوى في رسـالتَيْنِ دوَّنَهما في مطلعَيْهما (هما الرِّسالتانِ: ٣ و٧).

تواقيعُ الزَّهاويِّ:

لـم يثْبُتِ الزَّهاويُّ، برغمِ شُـهرتِه الطّاغيةِ، على اسـمٍ أَدبيٍّ واحدٍ يوقِّعُ به مقالاتِه ودراساتِه وكُتُبَه، وكذلكَ فعلَ في رسائلِه هذه، فقدْ وقَّعَ باسمِ (جميل صِدْقي الزَّهـاويِّ) في أُولى رسـائلِه الأَربعِ في العهْدِ العُثمانـيِّ، واقتـصرَ على (جميـل الزَّهـاويِّ) بعدَ الاحتـلالِ البريطانيِّ سـنةَ ١٩١٧م مُباشرةً، وذلك ابتداءً برسالتِه الخامسةِ المُرسلةِ بعد سِتَّةِ أَشهرٍ على احتلالِ الإِنكليزِ لبغدادَ، وانتهاءً بالسّابعةِ في أَواخرِ سنةِ ١٩٢٨م، ولا شكَّ أَنَّ تزامُنَ تغييرِ الاسمِ الأَدبيِّ هذا مـع تحوُّلٍ سـياسيٍّ هائلٍ، لا يخلـو من دوافعَ ولا من دلالاتٍ لشـاعرٍ شهيرٍ وشـخصيّةٍ اجتماعيّةٍ معروفةٍ، كانتْ لها مواقفُ سياسـيّةٌ غيرُ مُسـتقرّةٍ حيالَ الأَحداثِ المُتداخلةِ في البلادِ ومُحيطِها.

ثُمَّ اختزلَ اسـمَه إلى (الزَّهاويِّ) فقطْ في رسالتِه الثّامنةِ مطلعَ سنةِ ١٩٢٩م، لكنَّه سُرعانَ ما عادَ إلى توقيعِه الثُّنائيِّ (جميل الزَّهاويُّ) في رسائلِه الثَّلاثِ الأَخيرةِ مُنذُ أَواخِر شهرِ شُباطَ / فبراير ١٩٢٩م، إلى مطلعِ الشَّهرِ نفسِه من سنةِ ١٩٣٢م.

أَمّـا عـن توقيعِ قصائـده ومقالاتِه ودراسـاتِه، فقد كانَ أَوَّلُ اسـمٍ رصدتُه هو (زهاوي زادة جميل صِدْقـي) واسـتخدمَه أَربعَ مـرّاتٍ في بداياتِ نشره بمجلَّتَـي (المُقتطـف) و(الهِلال) القاهريَّتَيْنِ سـنةَ ١٨٩٦م، ثُـمَّ عـدلَ عنه إلى اسـمِه الأَكثـر تداولًا في كتاباتِه الأَدبيّـةِ والعلميّةِ (جميل صِدْقي الزَّهاويِّ) حـينَ اسـتأنفَ النَّـشْرَ في مجلّـةِ (المُقتطف) سـنةَ ١٩٠٨م، وظلَّ اسـمَه المعتادَ في غالـبِ ما نشره إلى وفاتِه سـنةَ ١٩٣٦م. لكنَّه اسـتخدمَ أَحيانًا اسـمَه الثُّنائـيَّ (جميل الزَّهـاويُّ) في بضْعِ مقـالاتٍ بُعَيْدَ الاحتـلالِ البريطانيِّ، ووقَّـعَ بضْعَ مقـالاتٍ أُخرى باسـمِ (الزَّهاويُّ) في نهايـةِ العشرينيّـاتِ، وهذانِ الاسـتثناءان الأَخيرانِ مُطابقانِ زمنيًّـا لِما فعلَه في رسائلِه هذه.

فَحْوى رسائلِ الزَّهاويِّ ومضامينُها:

تطـرَّقَ الزَّهاويُّ في رسـائلِه الاثنتـي عشرةَ إلى ما كانَ يشغلُه ويشـغلُ مُكاتِبَه الكرمليَّ من أَشتاتِ المسـائلِ الطّارئـةِ الّتـي مـا كانَ مُمكِنًـا لأَحدِهما إرجاءَهـا إلى حينَ اللِّقاءِ الأُسـبوعيِّ في مجلسٍ أَدبيٍّ كان يُقيمُـه الكرمـليُّ صبيحـةَ كُلِّ يـومِ جُمعةٍ، في مقره بكنيسةِ اللّاتينِ وسْـطَ بغدادَ، المُقابلةِ لجامعِ الخُلفاءِ والمُجاورةِ للسُّوقِ العربيِّ بالشُّوْرْجَةِ حاليًّا،

العلمـيِّ العراقيِّ): المُجلَّدُ ٢٣ الصّادرُ سـنةَ ١٩٧٣م: ص: ٢٢٧ – ٢٣٩. وقـد زوَّدَه بجـداولَ للتَّوفيـقِ بينَ أَوائلِ السِّنينِ الرُّوْمِيّةِ والميلاديّةِ والهِجْريّةِ.

أَو في غيره من مجالـسِ بغدادَ ومُنتدياتِها وموائلِها الثَّقافيّـةِ. وسأَسـتعرضُ في مـا يأتـي فَحْوى هذه الرَّسائلِ ومضامينِها، مُتوخِّيًا الكشْفَ عن إشاراتِها، وما يَتراءى لي من أَبعادِها، بحسبِ تسلسُلِها.

يُطالِعُنا الزَّهاويُّ في رسالتِه الأُولى المُؤرَّخةِ في ١٩ آذار/ مارس ١٩٠٨م- الّتي أَجابَ فيها على سُـؤالٍ للكرمـليِّ- ببيانٍ عن حجْمِ الإِرْثِ الشِّـعْريِّ المُتداولِ بين أَبناءِ جيلِه ونُخبةِ أُدباءِ العراقِ وشُعرائه مطالِعَ القـرنِ الماضي، الّـذي وصلَهم مطبوعًـا ومخطوطًا مـن نِتـاجِ الجيلِ الّـذي سـبقَهم في القـرنِ الثّالثَ عـشرَ والرّابعَ عشرَ الهجريَّيْنِ. ويبـدأُ القرنُ الثالثَ عـشرَ للهجـرةِ (أَي سـنةَ ١٢٠١هـ) سـنةَ ١٧٨٦ للميـلادِ، وظهـرَ مـن تتبُّـعِ الزَّهـاويِّ أَنَّ مجموعَ هـذا الإِرْثِ يقتصرُ على خمسـةِ دواويـنَ مطبوعةٍ، وديوانٍ مخطوطٍ بِيْـعَ ببغدادَ بعدَ موْتِ مالكِه. كما ذكـرَ أَنَّ السّـاحةَ الأَدبيّةَ كانتْ تَخْلـو من كِتابٍ في تاريخِ الأَدبِ يُوثِّـقُ أَعلامَ هذَيْنِ القرنَـيْنِ، مُحتاطًا بالقوْلِ "فيما أَعْلَمُ". وحسـنًا فعلَ باحتياطِه، ذلكَ أَنَّ اثنَـيْنِ مـن مُعاصِريه الآلوسـيِّينَ كانا قد وضَعا كتابَيْنِ مُنفصِلَيْنِ سَدًّا به هذه الثُّغْرةَ، كما سأُبيِّنُ في تعليقاتي على هذه الرِّسالةِ.

وتكشفُ الرِّسالةُ الثّانيةُ المُؤرَّخةُ في ١٢ شُباط/ فبرايـر ١٩١١م، عن التَّثاقُفِ المعـرفيِّ بين الرَّجلَيْنِ، وتبادُلِهمـا كُبرى مصـادرِ التُّراثِ العربـيِّ المُكتنزةِ مكتباتُهمـا الشَّـخصيّةُ بهـا، وعـن مـدى تعطُّشِ الزَّهـاويِّ ولَهْفتِه إلى الوقوفِ عـلى النَّوادرِ من كُتُبِ الـتُّراثِ الشِّـعريِّ العربيِّ في أَصْقـى ينابيعِه، حين يتمثَّـلُ في كتابٍ نـادرٍ مثـلِ: "حماسـة البُحْتُريِّ" المطبـوعِ لأَوَّلِ مـرَّةٍ قبلَ عامٍ فقـط، عن مخطوطةٍ وحيدةٍ في العالَمِ محفوظةٍ بهولندا، ومُختارًا بذائقةِ شاعرٍ مَطْبوعٍ كالبُحْتُريِّ. وهو يختزِلُ هذا التَّعطُّشَ ويُعـبِّرُ عن تلـكَ اللَّهفةِ بشَـغَفٍ لا يُخفيه حينَ قالَ في مُسـتهلِّ رسـالتِه المُقتضبةِ: "شـفيتُ نَفْسي من مُطالَعـةِ حَماسـةِ البُحْتريِّ إلى آخرِهـا". ولعلَّ تلكَ القراءةَ الشّـافيةَ للنَّفْسِ هي الّتي أَلْهَمَتْهُ أَن يقتديَ بالبُحْتُريِّ وسَلَفِه الطّائيِّ أَبي تمَّامٍ، وغيرِهما، فيضعَ مُختاراتٍ شـعريّةً سـمّاها "من عُيُونِ الشِّعْرِ"[٢٣]،

(٢٣) نشَرهـا الزَّهـاويُّ، أَوَّلَ الأَمـرِ، في سلسـلةِ مقـالاتٍ مُتفرِّقـةٍ في مجلّاتٍ وصُحُفٍ عراقيّةٍ بينَ سـنةِ ١٩١٨ و١٩٢٠م، وأَلقـى بعْضًـا منهـا في مُحـاضراتٍ عـلى مُديـري مـدارسِ بغـدادَ ومُعلِّميهـا وأُسـاتذةِ المعْهدِ العِلْمـيِّ فيها. ثُمَّ جَمَعَها في كتابٍ بعثَ بمخطوطتِه في فجْرِ العشرينيّاتِ من القرنِ الماضي إلى صديقِه الأَديبِ والمُؤرِّخِ الدّكتور مُحمَّد صَبْري السّـوربونيِّ (١٨٩٠-١٩٧٨م) وهـو أَوَّلُ مـصريٍّ ينالُ شـهادةَ الدّكتوراه من كُلِّيّةِ السّـوربونِ العريقـةِ بجامعةِ باريسَ، لِيتولَّى نَـشْره بالقاهرةِ، لكنَّ تلكَ النُّسْـخةَ الخطِّيّةَ ضاعتْ في أَثناءِ تداولِها بينَ الشّـاعرَيْنِ المعروفيْنِ حافظ إبراهيم وإِسـماعيل صَبْري، اللّذَيْنِ لم يُشجِّعا السّوربونيَّ على نشْرِها كما قالَ لاحِقًا. وكانتْ تعزّزتْ صِلةُ السّوربونيِّ بالزَّهـاويِّ لَمّـا كتبَ له الأَخـيرُ مُقدِّمةً للجُـزْءِ الثّاني مـن كتابِه: «شُـعراءُ العَصْر» الصّادرِ بالقاهرةِ سـنةَ ١٩١٢م. وبعـدَ نحْـوِ نِصْفِ قرنٍ على اختفاءِ نُسْـخةِ كتابِ الزَّهاويِّ الخطِّيّةِ تلكَ، نَهَدَ الباحثُ العراقيُّ عبدُ الـرَّزّاقِ الهلاليُّ إلى جَمْـعِ ما كانَ نَـشَره الزَّهاويُّ من عُيُونِ الشِّـعْرِ في الصَّحافةِ العراقيّةِ، فاسـتقامَ له منه كتابٌ ضمَّ خمسمئةَ بيتٍ لمئةٍ وخمسةٍ وأَربعينَ شاعِرًا. فحقَّقَه وعلَّقَ عليه، ثُمَّ أَصدَره ببغدادَ سنةَ ١٩٧٢م في كتابٍ عُنوانُه: «مُختاراتُ الزَّهاويِّ من عُيُونِ الشِّـعْرِ»، يقـعُ في (٢٩٦ص)، سـاعدَ المجمـعُ العِلْمـيُّ العراقيُّ على طَبْعِه في مطبعةِ شـفيق. يُنْظَرُ: الكتابُ المطبوعُ، وعَـرْضٌ نقـديٌّ لـه بقلـمِ مُحمَّـد عبد الغني حسـن، نُـشِرَ بعُنوانِ الكتابِ نفسِـه، في الجُـزءُ ٣١ من مجلّةِ (مجمـعِ اللُّغةِ العربيّـةِ) القاهريّةِ، الصّـادرِ في آذارَ/ مـارس ١٩٧٣م: ص٢٠٢- ٢١٦. وقالَ في مُسـتهلِّه: «أَغلـبُ الظَّنِّ أَنَّ الّـذي حَمَلَ الشّـاعرَ العراقيَّ الكبيرَ جميـل صِدْقي الزَّهاويَّ على أَن يكونَ له مُختاراتٌ من دِيوانِ الشِّـعْرِ العربيِّ أَنَّ بعضَ شُعراءِ العربيّةِ الكِبارِ سبقوه إلى هذا الصَّنيعِ، فلِأَبي تمَّامٍ مُختاراتٌ من شِعْرِ سـمّاها (الحَماسةُ)، وللبُحْتُريِّ مُختاراتٌ كذلكَ اسمُها (حماسةُ البُحْتُريِّ)».

ضمَّتْ باقاتٍ ارتضاها ذوقُه من أَبياتٍ ونُتَفٍ لشُعراءِ الجاهليّةِ وصَدْرِ الإسلامِ والعصْرَيْنِ الأُمويِّ والعبّاسيِّ، ومن شعراءِ الأَندلسِ وغيرِهم.

ومن شدَّةِ فرحِه بقراءةِ هذا الكتابِ، أَذِنَ للكرمليِّ- وهو يُرجِعُ الكتابَ إليه- في إبقاءِ نُسْخَتِه الشَّخصيّةِ من ديوانِ الفَرَزْدَقِ لديه ما شاء أَن تبقى، واصِفًا إيّاه بـ«الصَّديقِ الحميمِ»، وهي عبارةٌ لم يستخدِمْها قَطُّ في غيرِ هذه الرِّسالةِ.

وتنفردُ الرِّسالةُ الثّالثةُ، المُؤرَّخةُ في ٢٧ آذار/مارس ١٩١٣م، من بينِ رسائلِ الزَّهاويِّ هذه بأَكثرَ من ميزةٍ، فهي أَطولُ رسائلِه قاطِبةً، وتُفصِحُ عن جانبٍ غيرِ مَطْروقٍ في مصادرِ ثقافتِه التُّراثيّةِ، لَمّا قدَّمَ للكرمليِّ- بناءً على طلبِه- قائمةً شِبْهَ مُفهرسةٍ، ببعضِ ما تضمُّه مكتبتُه الشَّخصيّةُ من كُتبٍ خطِّيَّةٍ، احتوتْ على أَربعَ عشرةَ مخطوطةً، أَكثرُ من نِصْفِها لم يكنْ قد طُبِعَ في ذلك الأَوانِ، كما سأُبيّنُ في هوامشي على الرِّسالةِ.

وطريقتُه في التَّعريفِ بمخطوطاتِه، أَنَّه يذكرُ عُنواناتِها أَوَّلًا، فأَسماءَ مُؤلِّفِيْها. ويُدرِجُ أَحيانًا بعد ذلكَ، وعلى نحوٍ مُختصَرٍ، ما قد يراه ضروريًّا من معلوماتٍ عن حجْمِ الكتابِ أَو عددِ أَجزائه، أَو العِلْمِ الّذي يختصُّ به، أَو طبيعةِ موضوعاتِه، ورُبَّما ذكرَ شيئًا عن قيمةِ الكتابِ أَو أَهمِّيّةِ المُؤلِّفِ. فقالَ عن كتابِ: «الجديدُ» في الحِكْمة، مثَلًا: «لابنِ كَمُّوْنَةَ البغداديِّ، الّذي يُلَقَّبُ بشيطانِ الحُكماءِ. وهو كتابٌ ضَخْمٌ قديمٌ، ينقسِمُ إلى قِسْمَيْنِ: أَحدُهما في المَنْطِقِ، والثّاني في الحِكْمةِ».

وثمَّةَ كُتُبٌ اكتفى بذِكْرِ العُنوانِ واسمِ المُؤلِّفِ فقط. وحينَ لا يكونُ متأَكِّدًا من اسمِ أَحدِهما، يتحوَّطُ في ذلكَ، كقولِه عن كتابِه الخَطِّيِّ الثّامِنِ: «البُدُورُ السَّافرة في أَحوال الآخِرة»: «وأَظنُّها[٢٤] للسُّيوطيِّ». ويختمُ الزَّهاويُّ رسالتَه بتأَكيدِ أَنَّ هذه المخطوطاتِ هي بعضُ ما يمتلكُه في مكتبتِه، بقولِه: «وغيرُ ذلكَ مِمّا لا أَحفظُ أَسماءَه»، وهي خاتمةٌ غريبةٌ، فقد صرَّحَ في مطْلعِ رسالتِه بأَنَّه كانَ في بيتِه حينَ كتبَها، فكيفَ يذكرُ أَنَّه لا يحفظُ أَسماءَ مخطوطاتِه وهي بينَ يديه؟ ولعلَّه لم يشأْ أَن يذكرَ للكرمليِّ كُلَّ ما لديه من دواوينَ شعريّةٍ وشُرُوحٍ لها، ومن معاجمَ وكُتُبٍ أَدبيةٍ ولُغويّةٍ أَثيرةٍ عنده ولا يستغني عنها شاعرٌ نظيره. ويترجَّحُ هذا الاحتمالُ من خُلُوِّ القائمةِ من أَيِّ كتابٍ في هذه الحُقُولِ سوى كتابِ: «تأهيلُ الغريبِ» لابنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ وهو الوحيدُ بينَها الّذي يُعنى بالشِّعْرِ، فموضوعاتِ الكُتُبِ المُدْرَجَةِ في القائمةِ تدورُ في فَلَكِ: المَنْطِقِ والحِكْمةِ والفلسفةِ والتَّصوُّفِ وأَدب الرَّسائلِ والفِقْهِ والعقائدِ وعلمِ الكلامِ. ولا شكَّ في أَنَّ نِسْبةً غيرَ قليلةٍ من هذه الكُتُبِ كانت مِمّا ورثَهُ من والده المُفتي.

ومن الصَّعبِ التَّأَكُّدُ من أَنَّه لم يُفرِّطْ ببعضِ هذه المخطوطاتِ بَيْعًا، حينَ اضطرَّ لبَيْعِ مكتبتَه بكُلِّ كُتُبِها سنةَ ١٩٢٤م، ولم يُبْقِ فيها إِلّا النَّادرَ كما قالَ[٢٥]؛ وذلك لحاجتِه إلى مالٍ يكفيه للهجرةِ إلى مصرَ في ذلكَ العامِ. فلعلَّه يقصدُ بالنّادرِ هُنا: المخطوطاتِ الّتي لم تكنْ قد طُبِعتْ نُصُوصُها حتّى ذلك الحينِ، مع بعضِ ما يهمُّه من مصادرَ ومراجِعَ مطبوعةٍ، مِمّا لا يُستغنى عنها.

---

(٢٤) الضَّميرُ المؤنَّثُ هُنا يعودُ على «البُدُورِ»، وهي جَمْعُ «بَدْر».

(٢٥) يُنْظَرُ: «للحقيقةِ والتّاريخِ، رسائلُ الزَّهاويِّ»، أَحمد مُحمَّد عيش، مجلَّةُ (الكاتب المصريّ) القاهريّةُ، بعددِها ١٥ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٥٩.

وفي إطارِ تتبُّعِ الزَّهاويِّ لِما يُنشَرُ في مجلّةِ الكرمليِّ (لُغة العرب)، طلبَ منه في رسالتِه الرّابعةِ المُؤرَّخةِ في ٣٠ آذار/ مارس ١٩١٣م، أَن يُعيره كتابَ: «الدِّينُ والإسلامُ، أَو الدَّعوةُ الإسلاميّةُ» للعالِمِ النَّجَفيِّ والزَّعيمِ الدِّينيِّ المعروفِ الشَّيْخِ مُحمَّد حُسين آل كاشفِ الغِطاءِ (١٨٧٧- ١٩٥٤م)، كانَ قد عرضَه الكرمليُّ ونَقَده في بابِ مجلَّتِه الثّابتِ: (المُشارفةُ والانتقادُ). ولعلَّ ما شدَّ الزَّهاويَّ إلى هذا الكتابِ: «تفنيده للمذاهبِ الجديدةِ الواهيةِ، كمَذْهبِ المادِّيِّينَ والدَّهْريِّينَ وأَصحابِ مذْهَبِ تنازُعِ البقاءِ والنُّشوءِ والارتقاءِ والدَّرْوَنيّةِ والتَّعْطيلِ والإلْحادِ ونَحْوِها»[٢٦]، ونقده كذلكَ لنُفُوذِ «الرُّوْحِ الغربيّةِ في جسَدِ الشَّرْقِ وجسمِ العالَمِ الإسلاميِّ»[٢٧]، كما جاءَ في عرْضِ الكرمليِّ النَّقْديِّ للكتابِ، ومعلومٌ أَنَّ الزَّهاويَّ كانَ شديدَ الاهتمامِ بمثلِ هذه القضايا، ولا سيما بنظريّةِ دارْوِنَ في التَّطوُّرِ، ومهمومًا برَصْدِ الخِطابِ الدِّينيِّ السّائدِ في بيئاتٍ مُختلِفةٍ من البِلادِ.

وهذه الرِّسالةُ أَعلاه كانتِ الأَخيرةَ له في العهْدِ العُثمانيِّ، بعدَ أَن انسحبَ الجيشُ العُثمانيُّ من بغدادَ مُتَقَهْقِرًا إلى الشَّمالِ، يومَ الأَحدِ الحاديْ عشرَ من آذارَ/ مارس ١٩١٧م، ليحتلَّها الجيشُ البريطانيُّ عصْرَ اليومِ نفسِه.

وتُعيدُ رسالةُ الزَّهاويِّ الخامسةُ المُؤرَّخةُ في ٩ أَيلولَ/ سبتمبر ١٩١٧م، فَتْحَ ملَفِّه الملغومِ وتاريخِه الإشكاليِّ مع الإنكليزِ، وتكشفُ عن صفْحةٍ مطويّةٍ من صِلاتِه الجَدَليّةِ بهم بعدَ احتلالِهم العراقَ، مُضيفةً واقعةً جديدةً لم تذكرْها المصادرُ المُتاحةُ في حُدودِ ما وقفتُ عليه، فتاريخُ إرسالِها جاءَ بعدَ احتلالِ بريطانيا لبغدادَ بنحْوِ ستَّةِ أَشهرٍ، وهو يُعلِنُ فيها للكرمليِّ، بفَخْرٍ، قَبولَه الاشتراكَ مع عراقيِّينَ لم يُحدِّدْهم، «في الطَّلَبِ إلى فخامةِ السِّرْ برسي كوكس»، أَن يُقدِّمَه عُضْوًا عامِلًا للمَجْمَعِ اللُّغويِّ المصريِّ، طالِبًا من الكرمليِّ وساطتَه في هذا الأَمرِ لدى Percy Cox (١٨٦٤- ١٩٣٧م) الّذي كانَ الضّابطَ السِّياسيَّ الرَّئيسَ في القُوّاتِ البريطانيّةِ الّتي احتلّتِ العراقَ، ومسؤولًا عن ملفِّ العِلاقاتِ بين سُلطاتِ الاحتلالِ والسُّلطاتِ المحلِّيّةِ، ثُمَّ أَصبحَ، فيما بعدُ، المندوبَ السّامي لبريطانيا في العراقِ قُبيلَ أَن يتولَّى فيصلُ الأَوَّلُ مَهامَّه مَلِكًا[٢٨]. أَمَا المَجْمَعُ المُشارُ إليه فهو المَجْمَعُ اللُّغويُّ الموؤودُ بعد نَحْوِ عامَينِ من تأَسيسِه، المعروفُ بـ (مجمعِ

(٢٦) «الدِّينُ والإسلامُ، أَو الدَّعوةُ الإسلاميّةُ»، عرْضٌ نقْديٌّ نُشِرَ من غيرِ توقيعٍ (وهو لصاحبِ المجلَّةِ: أَنِسْتاس ماري الكرمليُّ)، مجلّةِ (لُغة العرب)، الجُزءُ العاشِرُ من السَّنةِ الثّانيةِ، الصّادرُ في الأَوَّلِ من نَيْسانِ/أَبريل ١٩١٣م: ص٤٧١.

(٢٧) المرجِعُ السّابقُ نفسُه: ص٤٦٩- ٤٧٠.

(٢٨) تُنْظَرُ سيرةِ كوكسَ في «موسوعةُ أَحداثِ القرْنِ العشرينَ»، ناصر بن مُحمَّد الزُّمل، مكتبة العبيكان، الرِّياض، ط٢، ٢٠٠٦م: ٦٠٨/٤- ٦٠٩. ومِمّا وردَ فيها أَنَّه وُلِدَ في منطقةِ إكسيوس البريطانيّةِ لأَبَوَيْنِ يهودِيَّيْنِ، وتخرَّجَ في الكلِّيّةِ المَلكيّةِ البريطانيّةِ العسكريّةِ في ساند هيرست، وعُيِّنَ بعد تخرُّجِه في الحاميةِ البريطانيّةِ بالهندِ سنةَ ١٨٨٤م. وانتقلَ للعملِ في منطقةِ الخليجِ العربيِّ وإيرانَ لأَوَّلِ مرّةٍ سنةَ ١٨٩٣م. مُنِحَ لقبَ (سِيْر) لخدماتِه أَثناءَ الحربِ الكَوْنيّةِ الأُولى. وبعدَ تعيينِه مندوبًا ساميًا في العراقِ، اقترحَ تأسيسَ جيشٍ عراقيٍّ لتخفيفِ الأَعباءِ الماليّةِ عن بريطانيا. كانَ له دورٌ سياسيٌّ كبيرٌ ومُؤثِّرٌ وخطيرٌ في العراقِ ومنطقةِ الخليجِ العربيِّ فعملَ خلالَ وُجُوده في مَنْصبِه على تقسيمِ المنطقةِ، وشَرْذَمَ قبائلَها، وخلقَ مُشكلاتٍ جمَّةً بسببِ تقسيماتِه الّتي فرضها عليها، والّتي لا تزالُ دُولُ المنطقةِ تُعاني منها، وباتتْ سببًا للخلافِ بينَها. ويُعدُّ دَوْرُ كوكسَ مُماثِلًا لدورِ سايكس وبيكو (وزيرَي خارجيةِ بريطانيا وفرنسا اللّذَيْنِ قَسَّما البُلْدانِ العربيّةِ مناطقَ احتلالٍ بينَ دولتَيْهما خِلافًا للوُعُودِ الّتي قُدِّمت للعرب)، ولا يقلُّ خُطُورةً عن دوره ما.

دارِ الكُتُـبِ) الّذي أَنْشِـئ بالقاهرةِ سـنةَ ١٩١٦م بجُهُودِ أَحمد لُطْفي السَّيِّد (١٨٧٢- ١٩٦٣م) حينَ كانَ مُديرًا لدارِ الكُتُبِ المصريّة[٢٩].

تُظهِـرُ الرِّسـالةُ أَنَّ مَنْـحَ الوُعـودِ المُغْرِيـةِ بلا حُـدُودٍ، ونصْـبَ فِخاخِهـا بإتقـانٍ، كانَ مـن بينِ خطـطِ الإنكليـزِ، بدهائهم الاسـتعماريِّ المعروفِ، لضمانِ تقبُّـلِ النُّخَبِ وكِبارِ الشَّـخصيّاتِ الثَّقافيّةِ في البِـلادِ لاحتلالِهـم؛ كـي يقتـديَ بهـم تلامذتُهم ومُريدوهـم وقُرّاؤهـم والمُتأثِّـرونَ بهـم، كما كانوا فعلوا بالسِّياسـيِّينَ مـن قبلُ ومن بعـدُ، فيمنُّونَهم ببعـضِ مُغرياتِ الوَجاهـةِ هذه فيسـتجيبُ فريقٌ منهم ويأبى فريقٌ. ولعلَّ ما جعلَ الزَّهاويَّ في عِدادِ الفريـقِ الأَوَّلِ، مُقتَنِعًا بإمكانيّةِ تحقُّقِ هذا المَطْمَعِ- وعن هذا الطَّريقِ المُؤسِفِ والمُظْهِرِ لهشاشتِه في تلك اللَّحظـةِ، وفي لحظـاتٍ أُخرى غيرِهـا[٣٠]- اعتقاده بأَنَّ قرارَ الإنكليزِ في مصرَ الّتي يحتلُّونَها مُنذ سـنةِ ١٨٨٢م، نافِذٌ في كُلِّ شُـؤونِها، وظَنَّ أَنَّ شـخصيّةً ذاتَ نُفُـوذٍ كبـيرٍ في العـراقِ وجِـواره المُلاصِقِ مثلَ كوكسَ، تمتلكُ حقَّ ترشـيحِه وفرْضَهُ على رئاسـةِ هذا المَجْمَـعِ، وهو أَمرٌ لم يتمَّ أَبـدًا، ويدلُّ على شيءٍ من السَّذاجةِ من جانبَيْنِ: في قَبولِ فكرةَ أَن يُرشِّحَه ضابـطٌ بريطانيٌّ لعُضْويّةِ مَجْمَعٍ لُغويٍّ عربيٍّ وإن كانَ مُقتنِعًـا باسـتحقاقِها، وفي تصديـقِ إمكانيّـةِ تحقُّقِها، وكلاهُما لا يتناسـبانِ مـع ذكاءِ الزَّهاويِّ الفِطْريِّ، ومواهبِه المشهودِ لها بالأَلْمَعيّةِ في اجتراحِ الأَفكارِ المُركَّبةِ والنَّظريّاتِ العِلْميّةِ المُعقَّدةِ من دونِ دراسةٍ مُنتظَمةٍ في جامعةٍ حديثةٍ.

ولا أَظـنُّ أَنَّ شـخصيّةً برصانـةِ أَحمـد لُطْفي السَّـيِّدِ، برغـمِ اعتدالِه، تتقبَّـلُ تدخُّـلَ الإنكليزِ أَو غيرِهم في مثلِ هذا الشّـأنِ اللُّغويِّ المَحْضِ، تدلُّ على ذلك استقالتُه الشَّـهيرةُ من منْصبِه مُديرًا للجامعةِ المصريّةِ سـنةَ ١٩٣٢م، اعتراضًا عـلى تدخُّلِ وزيرِ المعارفِ المـصريِّ يومئذٍ في صلاحيّاتِـه، بقرارٍ نَقَلَ بمُوجبِه الدّكتور طه حُسـين مـن كُلِّيّةِ الآدابِ فيها، وهو المنتخبُ من الجامعةِ لعمادتِها[٣١].

ولعـدمِ توفُّـرِ معلومةٍ مُوثَّقةٍ عـن الكيفيّةِ الّتي انتهـى إليها هذا الأَمرُ، أُرجِّحُ أَنَّ دهاءَ الإنكليزِ وجدَ مَخْرَجًا ما يُقنِعُ به الزَّهـاويَّ بتعذُّرِ تحقيقِ رغبتِه لأمـرٍ قاهرٍ برغمِ ما بُذِلَ من مسـاعٍ، ولـولا ذلكَ لما كانَ أَلقى قصيدتَه الشَّـهيرةَ في مدْحِ كوكسَ نفْسِـه حينَ عادَ إلى العراقِ مندوبًا ساميًا جديدًا بعد تمكُّنِ الإنكليزِ بأَسـاليبِ الدَّهاءِ المُلتويةِ والقسْوةِ المُفرطةِ،

(٢٩) وليـسَ المقصودُ بـه- بالطَّبْعِ- مَجْمَـعَ اللُّغةِ العربيّةِ بالقاهـرةِ القائـمَ حاليًّـا، الّذي أُنشـئ رسـميًّا سـنةَ ١٩٣٢م، وباشرَ أَعمالَه سـنةَ ١٩٣٤م، وكانَ الكرمليُّ العُضْوَ العامِلَ الوحيدَ من العراقِ في هيأتِه التّأسيسيّةِ حتَّى وفاتِه سنةَ ١٩٤٧م.

(٣٠) كُنـتُ قد نـشرتُ في مقالتـي: «كيفَ حـاولَ الزَّهاويُّ الإفلاتَ من قبْضةِ الإنكليزِ»، المُدرجةِ بمجلَّةِ (الشَّـبكة العراقيّـة) بعددِها ٤٩٤، من السَّـنةِ ٢١، الصّادرِ يومَ السَّـبتِ ٢٨ شُـباط/فبراير ٢٠٢٦م: (ص٦٨- ٦٩)، رسـالةً نـادرةً للزَّهـاويِّ، مُؤرَّخـةً في ٢١ أَيّارَ/مايو ١٩١٧م، يُـسِرُّ الكرمليُّ فيها بحقيقةِ واقعةِ نجاتِه من اعتقالِ القُوّاتِ البريطانيّةِ له بعدَ ٧٠ يومًا على احتلالِها بغدادَ سنةَ ١٩١٧م، بفضْلِ بطاقةِ توصيةٍ كانَ حصلَ عليها من لولبِ السّياسةِ البريطانيّةِ بالعراقِ: غيرترود بلّ، المعروفةِ بـين العراقيِّين آنذاك بالخاتونِ أَو (المِسْ بـلّ)، الّتي تُوفِّيتْ ببغدادَ سـنةَ ١٩٢٦م ودُفِنتْ فيها، ولكنَّـه ذكرَ للنّاسِ المُتجمهريـنَ روايةً أُخرى اخترعَها اختراعًـا، بأَنَّـه أَرَى الضّابِـطَ الإنكليـزيَّ قصيـدةً له في ديوانِـه. ولعلَّـه يُريدُ بها قصيدتَه في مـدحِ الإنكليزِ المنشـورةَ في ديوانِـه الأَوَّلِ «الكَلِمُ المنظـومُ»، الصّادرِ ببيروتَ سنةَ ١٩٠٩م، كما سَردُ الكلامُ عليها بتفصيلٍ في المَتنِ.

(٣١) يُنْظَرُ في ذلكَ: «أَحمد لُطْفي السَّيِّد: دراسةٌ في الخارطةِ المعرفيّـةِ»، د. مُحمَّـد ماهر محمـود الجَمّـال، مركزُ البُحُوثِ العربيّـةِ، دارُ الأَمينِ، القاهرة، ٢٠٠٤م: ص١ ٠٢.

مـن إخمـادِ ثـورةِ العشريـنَ والبطْـشِ بقادتِهـا وبالمُشـاركينَ فيها قتْلًا ومُطاردةً واعتقالًا وسـجنًا ونفْيًا، وافتتَحها بقولِه مُخاطِبًا كوكسَ.

عُدْ للعراقِ وأَصلِحْ منه ما فَسَدا
وابثُثْ به العَدْلَ وامْنِحْ أَهلَه الرَّغَدا
الشَّـعْبُ فيه عليـكَ اليومَ مُعتمِدٌ
فيما يكونُ، كما قـد كانَ مُعتمِدا[٣٢]

وهـذه واحـدةٌ مـن سَـقَطاتِ الزَّهـاويِّ الّتـي سـجَّلها عليـه دارسـوه، وحـاولَ أَن يختزِلَهـا في سـيرتِه المُقْتضَبةِ المنشورةِ سـنةَ ١٩٢٨م، من دُونِ الإشارةِ إِلى القصيدةِ، بقولِه: «وجاءَ فخامةُ المندوبِ السّـامي السِّر بِرْسِي كوكس، فوعدَ وأَوعدَ، وخطبتُ يومَ اسـتقبالِه فطلبتُ أَن يرأفَ بالنّاسِ. وقد أَخْمَدَ فخامتُه الثَّورةَ بالقُوَّةِ، ووعدَ بالاستقلالِ»[٣٣].

والغريـبُ أَنَّها جاءتْ بعـدَ أَن كانَ كتبَ قصيدةً مُؤثِّـرةً في رثـاءِ شـهداءِ الثَّـورةِ الّذين سـقطوا في ضاحِيـةِ الرُّمَيْـثَةِ، قالَ في مطلعِها:

ماذا بِضاحِيـــــــةِ الرُّمَيْـــثَةِ
مِـــــــــن غَطارِفَةٍ جَحاجِحْ
وَلِمَنْ أُقِيمَتْ فِـــي البُيُـــــوتِ
علـــــــــى كَرامَتِها المَناوِحْ

ومنها قوْلُه:

طَلَبُـــــوا مُســـــاواةَ الحُقُو....قِ
فَطَوَّحَتْ بِهِـــــــمُ الطَّوائِحْ[٣٤]

وكانَ الزَّهاويُّ يـرى في الإِنكليزِ، قبلَ احتلالِهم العـراقَ، أُنموذجًا للتَّمـدُّنِ، وله قصيـدةٌ ضعيفةٌ- لُغةً ونَسْـجًا- في مدْحِهم، عُنوانُها: «وَلاءُ الإِنكليزِ»، كتبَها ونشرَها سنةَ ١٩٠٩م في العهْدِ العُثمانيِّ[٣٥]، في وقـتٍ كانتْ سياسـةُ الدَّولةِ العُثمانيّـةِ مُناهِضةً لبريطانيا، بالتَّحالُفِ مع خُصُومِها الأَلمانِ.

وقالَ في مطْلعِها:

وجدتُ الإِنكليزَ أُولي احتشامِ
أُبـاةَ الضَّيْـــــــمِ حُفَّـــاظَ الذِّمامِ
فصادقْـهُم تجـدْ أَخلاقَ صِدقٍ
لهم، والصِدْقُ من شِيَمِ الكرامِ

ومنهـا صَـدْرُ بيتٍ قـال فيـه: «أُحـبُّ الإِنكليزَ وأَصطفيهـم». وإِذا كانـتْ هـذه القصيدةُ سـبَّبتْ له المُشـكلاتِ بعدَ اندلاعِ الحـربِ الكَوْنيَّةِ الأُولى بينَ العُثمانيِّـينَ والإِنكليـزِ ومَن والاهُمـا، فإِنَّها بيَّضَتْ صفحتَه لدى الإِنكليزِ بعدَ احتلالِهم العراقَ، ولكنَّهم خيَّبوا ظنَّه بسياستِهم الاستعماريّةِ، وأَظهروا أَنَّهم لم يكونوا «أُولي احتشـامٍ» ولا «أَخـلاقِ صِدْقٍ» كما كانَ يعتقـدُ، ولـم يحْفَظوا عُهودَهم مـع العراقيِّينَ وكُلِّ العـربِ برغـمِ مَعْسـولِ وُعودِهـم، بـل نكَّلوا بأَحرارِهم وأُباةِ الضَّيْمِ منهم[٣٦].

---

(٣٢) «الزَّهاويُّ: الشّاعرُ الفيلسـوفُ والكاتِبُ المفكِّرُ»، عبدُ الرَّزّاقِ الهلاليُّ، الهيئةُ المصريّةُ العامّةُ للكتابِ، القاهرة، ١٩٧٦م: ص٥٣.

(٣٣) «حياتـي»، جميل صِدْقـي الزَّهاويُّ، (مجلّـةُ المجمعِ العلميِّ العربيِّ بدمشـق)، الجُزءُ الخامـسُ من المُجلَّدِ الثّامنِ، الصّادرُ في أَيّارَ/مايو ١٩٢٨م: ص٢٩٤.

(٣٤) «الزَّهـاويُّ، دراسـاتٌ ونُصُـوصٌ»، عبـدُ الحميـدِ الرُّشُـوديُّ، منشـوراتُ دارِ مكتبـةِ الحيـاةِ، بـيروت، ١٩٦٦م: ص٢٩٠.

(٣٥) في القسْـمِ الأَوَّلِ مـن ديوانِه البِكْرِ: «الكَلِـمُ المنظومُ»، المطبعـةُ الأَهليّةُ، بيروتَ، ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م: ص١٤. وهـذه الفِقْرةُ عـن قصيدةِ الزَّهاويِّ هـذه، وبعضُ ما سـيليها مـن تحليلِ صِلتِـه بالإِنكليزِ، مُسـتقًى بكثيرٍ مـن التَّـصرُّفِ والإِضافةِ، مـن مقالتي: «كيـفَ حاولَ الزَّهـاويُّ الإِفـلاتَ من قبْضـةِ الإِنكليزِ»، المنشـورةِ في مجلَّـةِ (الشَّـبكة العراقيّة) البغداديّـةِ، بعددِها ٤٩٤، من السَّـنةِ ٢١، الصّادرِ يومَ السَّبتِ ٢٨ شُباط/فبراير ٢٠٢٦م: (ص٦٨- ٦٩).

(٣٦) وكـذا فَعَـلَ، مـن أَسَـفٍ، نَفَرٌ مـن فاقِـدي البصيرةِ المحسـوبينَ على النُّخَـبِ الأَدبيّـةِ والثَّقافيّةِ بعـدَ نحْوِ تسـعةِ عُقُـودٍ، فلم يتَّعـظ أَحدُهـم بـدُرُوسِ التّاريخِ المُتكرِّرةِ مِـرارًا، حينما راهنَ على الاحتـلالِ الأَمريكيِّ

وقـد علَّق الزَّهاويُّ، في وثيقةٍ لـه مُؤرَّخةٍ في ٢٠ تشرين الثّاني/ نوفمبر ١٩٣٢م، على ما سـبَّبَتْهُ له هـذه القصيدةُ من مُشـكلاتٍ، بقولِـه: «وإلى اليومِ يعيبُنـي ناقِـدُوْيَ على هـذه القصيـدةِ، ولكن هل كُنتُ يومئذٍ أَعرفُ أَن سـتحدثَ حربٌ عالميّةٌ ويحتلَّ الإنكليزُ العراقَ؟ هذا لم يكنْ يخطرُ في بالِ أَحدٍ»[٣٧].

إنَّ المُتأَمِّـلَ في مواقـفِ الزَّهاويِّ من السُّـلطاتِ الحاكمـةِ للبـلادِ في العُهُـودِ الثَّلاثةِ الّتـي عاصرَها (العُثمانيِّ، فالبريطانيِّ احتلالًا وانتدابًا، ثُمّ المَلكيِّ) يجدْها غيرَ مُسـتقرّةٍ على خطٍّ واضحٍ، يتناسـبُ مع آرائـه الثَّوريّـةِ ونزْعتِـه للحُرِّيّة الّتـي تغنَّى بها في شِـعْره، ونَظَّرَ لها في كتاباتِه المنشـورةِ بالدَّوريّاتِ، والمُتداولـةِ في أَحاديـثَ يتناقلُها مُريـدوه في محافلِ بغدادَ ومجالسِـها ومقاهيها. فمواقفُه تنتقلُ أَحيانًا مـن المُعارضـةِ العَلَنيةِ ذاتِ الطّابـعِ اللَّفظيِّ عادةً، حينَ تأخذه الحَماسةُ الشِّعريةُ، أَو حين يشعرُ بغُبْنِ السُّـلطاتِ وتجاهلِها له، أَو مُغالبةً للرّأي السّائدِ في أَوسـاطِ النُّخَبِ، أَو مُخالفةً واستفزازًا للرّأي العامِّ لـدى سـوادِ النّـاسِ... إلى النَّقيضِ تمامًـا، بمُمالأةِ السُّـلطةِ، والـرّأي العـامِّ حينَ يثـورُ أَحيانًـا بدفْعٍ مـن المُؤثِّرينَ فيـه، ومُداجاتِهما خوفًا مـن التَّهديدِ بالاعتقـالِ والبَطْـشِ، أَو مخاطرِ الحُكْمِ بالسِّـجنِ والنَّفْـيِ، حريصًـا ما اسـتطاعَ على كِتْمـانِ حالتِه الأَخيرةِ إذا كان ذلك مُمْكِنًا، ورُبَّما اضطرَّ إلى إعلانِها نجاةً من خطَرٍ وشيكٍ.

وكانَ الزَّهـاويُّ يُمـارِسُ في لحظاتِ حماسـتِه واندفاعتِه تنفيسًا عن ثورةِ الذّاتِ، لينسجِمَ ظاهره مـع صُوْرةِ المُفكِّـرِ التَّنويريِّ غيرِ الهَيّـابِ من إبداء رأيه الحُرِّ حتّى لو اصطدمَ بالسُّلطةِ، وهي الصُّورةُ الّتـي يرغبُ في أَن يكـونَ عليها في مِرآةِ نفسِـه وفي مَرايـا الآخريـنَ، ولكـنْ من غـيرِ تَهَوُّرٍ قـد يُورده الهلاكَ، ومذهبُه في ذلك مذهـبُ أَبي العلاءِ المَعَرِّيِّ، الّـذي صرَّحَ بتبنِّيـهِ لـه في مُقدِّمةِ ديوانِـه الصّادرِ بالقاهرةِ سنةَ ١٩٢٤م، قائلًا: «والشّاعرُ حُرٌّ شُجاعٌ لا يهـابُ في الصِّـدقِ لومـةَ اللّائمـينَ، إلّا إذا أَحسَّ بالمَهْلَكَةِ، فعندئذٍ يسكُتُ أَو يكذِبُ، قال شَيْخُ المَعَرَّةِ:

اصدُقْ إلى أَن تظُنَّ الصِّدْقَ مَهْلَكَةً
وعندَ ذلكَ فاقْعُدْ كاذِبًا وقُمِ»[٣٨]

ولذلـكَ كانَ يلجـأُ إلى تحصـينِ النَّفْـسِ بآلياتِ دفاعٍ كانتْ سِـمَةً لنِسـبةٍ غيرِ قليلةٍ من مُخَضْرَمي نُخَبِ ذلك الزَّمـانِ، يضطرُّون لها اضطرارًا، ورُبَّما اختارَها بعضُهم اختيارًا بَحْثًا عن مَغْنَمٍ، وخالَفَتْهم في توجُّههـم هـذا نِسْـبةٌ مِمَّـن تَحَرَّوا الصِّـدْقَ مع الـذّاتِ، وحاولوا جُهْدَهم أَن تكـونَ مواقفُهم صدًى لِما يُضْمِرونَ في وِجدانِهم.

ويُعرِبُ الزَّهاويُّ عن أَسَـفِه للكرمليِّ في الرِّسالةِ

البشِـعِ لبلادِه، مُتأَمِّلًا نتائجَ غيرَ تلكَ المأسـاويةِ الّتي حلَّـتْ بالوطـنِ المنكوبِ مـن قبلُ ومن بعـدُ، ولا تزالُ تحـلُّ، فلاقى هذا الفاقدُ للبصيرةِ وأَشـباهُه من سُـوءِ العاقبةِ ما هو أَعظمُ وأَشـدُّ مـن خيبةِ الظَّنِّ؛ فإذا كانَ يُلْتَمَـسُ لجيلِ الزَّهـاويِّ بعضُ العُـذْرِ، لتصديقِ نَفَرٍ منهـم الدِّعايةَ الكاذبةَ للذِّئبِ المُسـتعمِرِ مُرتديًا لُبُوسَ الحَمَلِ، من دُوْنِ سـابقِ تجربةٍ معه، وفي زمنٍ لا تصلُ فيه أَخبارُ الوقائعِ بيُسْرٍ، فلا عُذْرَ لِمَن عاشوا في زماننا هذا، وقد عَلِموا بكُلِّ ما جرى من هذا الذِّئبِ المُسـتعمِرِ أَو ذاكَ عـلى أَسـلافِهم القريبينَ في البـلادِ ومُحيطِها، والأَخبارُ تَتْرى سُـيُولًا عليهم، مُباشرةً ومن كُلِّ جانبٍ، بالصَّوتِ والصُّورةِ، وبالنَّقلِ التِّلفازيِّ الحيِّ.

(٣٧) «للحقيقةِ والتّاريخِ، رسـائلُ الزَّهاويِّ»، أَحمد مُحمَّد عيـش، مجلَّةُ (الكاتب المصريّ) القاهريّةُ، بعددِها ١٥ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٦١.

(٣٨) «ديـوانُ الزَّهاويِّ»، جميل صِدْقـي الزَّهاويُّ، المطبعةُ العربيّةُ بمصرَ لصاحبِها خيرِ الدِّينِ الزِّرِكْلِيِّ، القاهرة، ١٩٢٤م: الصّفحـةُ (ب) من مُقدِّمةِ الشّـاعرِ المُعنونةِ: «نزعتي في الشِّعْرِ».

السّادسةِ المُؤرَّخةِ في ٤ تشرينَ الأوَّلِ/ اكتوبر ١٩١٧م، لعودةِ خادمِه من دارِ الزَّهاويِّ من دونِ استعادةِ نُسْخةٍ مُستعارةٍ من مجلَّةِ (المُقتَطَف) القاهريّةِ جاء لأَجْلِها، فيبعثُ إليه بالنُّسْخةِ حالَ عِلْمِه بالأَمرِ. وتشي الرِّسالةُ بلُطْفِ الزَّهاويِّ البالغِ حِيالَ الكرمليِّ، لاسيّما بعدَ أَن أَصبحَ راعيهِ ومُخلِّصَه من الأَزماتِ المُتوقَّعةِ في ظلِّ الاحتلالِ البريطانيِّ الجديد، فقدْ كانَ الكرمليُّ موْضِعَ ثقةٍ عندَهم؛ بعدَ أَن تولَّى إدارةَ تحريرِ جريدةِ (العرب)، ومجلَّةِ (دار السَّلام) اللّتَيْنِ أَصدرتْهما سُلُطاتُ الاحتلالِ ببغدادَ[٣٩]. كما تُشيُر الرِّسالةُ إلى مدى حِرْصِ الزَّهاويِّ على تتبُّعِ أَعدادِ مجلَّةِ (المُقتَطَف) الّتي شهِدَتْ أُولى تجاربِه النّاجحةِ بالنَّشْرِ النَّوعيِّ مُنذُ سنةِ ١٨٩٦م، وكانتْ يومئذٍ عميدةَ المجلّاتِ العربيّةِ (صدرتْ سنةَ ١٨٧٦م)، وظلَّتْ تقدِّمُ شهْريًّا زادَها العِلْميَّ والثَّقافيَّ المُتنوِّعَ لقُرّائها بالمُدُنِ الرَّئيسةِ في البلادِ العربيَّةِ طَوالَ ٧٦ عامًا، حتّى احتجابِها سنةَ ١٩٥٢م.

وتُقدِّمُ رِسالةُ الزَّهاويِّ السّابعةُ، المُؤرَّخةُ في ١٨ تشرينَ الثاني/ نوفمبر ١٩٢٨م، أُنموذجًا آخرَ مُختلِفًا عن اتِّساعِ دائرةِ التَّثاقُفِ المعرفيِّ بينَهما، لتشملَ تحليلَ النُّصوصِ الشِّعريّةِ، حينَ بعثَ إليه الكرمليُّ بيتَيْنِ شعريَّيْنِ- مُقتطَعَيْنِ من سياقِهما في القصيدة- لشرْحِهما، من دُونِ أَن يُعْلِمَه بأَيِّ تفاصيلَ عن الشّاعرِ والقصيدةِ وسياقِ البَيْتَيْنِ فيها كي يُمكنُه الإجابةَ بدقَّةٍ، فَبَدا وكأَنّه ضائعٌ في متاهةٍ وهو يُحاولُ تفكيكَ هذا النَّصِّ. ولعلَّ هذه الرِّسالةَ تُقدِّمُ لدارسي الزَّهاويِّ أُنْموذَجًا تطبيقيًّا يكشفُ عن بَصَره بالشِّعْرِ، وثقافتِه التُّراثيّةِ ومدى قُدرتِه على سَبْرِ أَغوارِ نُصُوصِها الشِّعريّةِ. وقد زوَّدتُ الرِّسالةَ بهوامشَ تُضيءُ النَّصَّ الأَصليَّ وإشاراتِه، وهو لسُراقةَ البارقيِّ من شُعراءِ صَدْرِ الإسلامِ والعصْرِ الأُمويِّ. وقُبيلَ خِتامِ الرِّسالةِ ثمَّةَ إشارةٌ مُهمّةٌ ذكرَها الزَّهاويُّ، تكشفُ عن دورٍ آخرَ حيويّ للكرمليِّ في تعزيزِ التَّواصُلِ وصِلاتِ التّثاقُفِ بين أُدباء العراقِ ونُظرائهم في البلادِ العربيةِ، فقد طلبَ إلى الكرمليِّ أَن يبعثَ برسالةِ شخصيّةٍ منه إلى الطَّبيبِ والشّاعرِ المصريِّ المعروفِ أَحمد زكي أَبو شادي (١٨٩٢- ١٩٥٥م)، في ضمْنِ ما يكتبُ به إليه من رسائلَ، ومثلُ هذا الطَّلَبِ سيتكرَّرُ في رسالتَينِ لاحقتَيْنِ مع شخصيَّتَيْنِ أُخريَيْنِ: الأُولى: في لُبنانَ كما في الرِّسالةِ التّاسعةِ المُؤرَّخةِ في ١٨ أَيّار/ مايو ١٩٢٩م، والشَّخصيّةُ الأُخرى: في المَهْجرِ الأَميركيِّ الجَنوبيِّ، كما في الرِّسالةِ الحاديةَ عشرةَ المُؤرَّخةِ في ١١ حَزيْرانَ/ يونيو ١٩٢٩م الّتي ظَهَرَ لي من تتبُّعِ سيرةِ هذه الشَّخصيّةِ الأَدبيّةِ المُرسلةُ إليها الهدايا- وهو كاتبٌ وناقِدٌ ومُؤلِّفٌ ورئيسُ تحريرِ جريدةٍ عربيّةٍ في مدينةِ سان باولو بالبرازيلِ- أَنَّ

(٣٩) أُسنِدتْ إليه يوم ٤ تَمُّوز/يوليو ١٩١٧م، رئاسةُ تحريرِ جريدةِ (العَرَب). وهي يوميّةٌ سياسيّةٌ تاريخيّةٌ أدبيّةٌ عُمرانيّةٌ، أَصدرتْها سُلُطاتُ الاحتلالِ البريطانيِّ في بغدادَ مُدَّةَ ثلاثةِ أَعوامٍ، فتوقّفت يومَ ٣١ أَيّارَ/مايو ١٩٢٠ قبلَ نحْوِ شهرٍ على اندلاعِ ثورةِ العشرين. وفي ٧ تَمُّوزَ/يوليو ١٩١٨م، أُسنِدتْ إليه رئاسةُ تحرير جريدةِ (دار السَّلام)، وهي أُسبوعيّةٌ أَدبيّةٌ تاريخيّةٌ اجتماعيّةٌ سياسيّةٌ، خَلَفًا للشّاعرِ الشَّيْخ مُحمَّد رِضا الشَّبيبيِّ، الّذي أَخرجَ منها عددَيْنِ فقط. وكانتْ سُلُطاتُ الاحتلالِ البريطانيِّ قد أَصدرتْها في بغدادَ يومَ ٢٣ حَزيْرانَ/يونيو من العامِ نفسِه. يُنْظَرُ كتابي: «رسائلُ الأُستاذِ الرَّئيسِ مُحمَّد كُرْد علي إلى الأَبِ أَنْستاس ماري الكرمليِّ»، الصّادرُ بطبْعَتِه الأُولى عن مجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشقَ، سنةَ ٢٠٠٠م: ص٥٠- ٥١. ولا شكَّ في أَنَّ تعاونَه ذلكَ كانَ موْقفًا سِلبيًّا مُؤسِفًا يُسجَّلُ عليه، وصفحةً سوداءَ في تاريخِه، برُغمِ أَنَّه حاولَ النّأْيَ بنفسِه عن الدِّعايةِ المُباشرةِ لهذا الاحتلالِ الغربيِّ الجديدِ، مُركِّزًا ما أَمكنَه على قضايا اللُّغةِ والثَّقافةِ والأَدبِ، وترسيخِ رُوحِ المُواطنةِ.

لها تاريخًا حافلًا بجرائمِ القتْلِ، وذهبتْ هي أَخيرًا ضحيّةَ نزعتِها هذه قَتْلًا. وقد سردتُ في هامشٍ مُفصَّلٍ ما وقفتُ عليه في هذا الشّأنِ غير المُتوقَّعِ.

وفي هذا النَّشاطِ ما يدلُّ على مدى تشعُّبِ صِلاتِ الكرمليِّ في بيئاتٍ ثقافيّةٍ مُتنوِّعةٍ في البلادِ العربيّةِ والمَهاجرِ، واستثماره لها في تعزيزِ مكانةِ الأَدبِ العراقيِّ ورُمُوزِه، حتّى صارَ بؤرةَ الصِّلاتِ الجامعةِ بينَ كثيرٍ منهم، وواسِطةَ عِقْدِها. وتدلُّ هذه الإشارةُ أيضًا على أَنَّ صِلاتِ الزَّهاويِّ الكتابيّةَ بهذا الشّاعرِ المصريِّ كانت مُبكِّرةً[٤٠]، وتسبقُ بأَربعةِ أَعوامٍ تاريخَ إصداره مجلَّتَه الشِّعريّةَ الرّائدةَ (أُبولُّو) بالقاهرةِ سنةَ ١٩٣٢م، الّتي أَفرزتْ مدرسةً شِعريّةً كانَ لها دورٌ في تحوُّلاتِ الشِّعرِ العربيِّ الحديثِ، ورُبّما نشأتِ المعرفةُ بينَهما إبّانَ إقامةِ الزَّهاويِّ بالقاهرةِ أَشهُرًا من سنةِ ١٩٢٤م. ويُنهي الزَّهاويُّ رسالتَه بما يُسلِّطُ الضَّوءَ على عُمْقِ صداقتِه بالكرمليِّ، ومعرفتِه التّامّةِ بعاداتِه وعباداتِه، حينَ يذكرُ له بأَنَّه سوفَ يزوره عندَ خُرُوجِه من الصَّوْمِ عن الكلامِ.

ويظهرُ في الرِّسالةِ الثّامنةِ، المُؤرَّخةِ في ١٤ كانونَ الثّاني/ يناير ١٩٢٩م، شيءٌ من الصَّدى الطَّيِّبِ الّذي قُوبلَ به ديوانُ الزَّهاويِّ الخامسِ: (اللُّبابُ)، الصّادرِ في شهرِ نَيْسانِ/ أَبريل ١٩٢٨م، على صفحاتِ مجلَّةِ (لُغة العرب). وقد تتبَّعتُ في الهامشِ كُلَّ ما نُشِرَ فيها من كتاباتٍ بقلمِ الكرمليِّ، وأُخرى عن صداه الكبيرِ خارجَ العراقِ، كان نقلَه في مجلَّتِه عن صُحُفٍ مَهْجريّةٍ وأَوربيّةٍ، فضْلًا عن نشْره رسالةَ تقريظٍ لـ «اللُّباب» وترجمةَ «رُباعيّات الخَيّامِ» وردتْهُ من مُستشرقٍ إيطاليٍّ كان تَلَقّى الدِّيوانَ والرُّباعيّاتِ هديّةً من الزَّهاويِّ عبرَ صديقِه الكرمليِّ الّذي يمتلِكُ شبكةَ علاقاتٍ وصداقاتٍ واسعةً مع أَهمَّ مُستشرقي العالِمِ. وهُنا يبرزُ مرَّةً أُخرى دوْرٌ حيويٌّ آخرُ للكرمليِّ في نقْلِ الأَدبِ العراقيِّ إلى الدّائرةِ العالميّةِ.

وأَضربُ، هُنا، برسالةِ الزَّهاويِّ العاشرةِ المُؤرَّخةِ في ١٨ أَيّار/ مايو ١٩٢٩م، مثالًا على ما يُمكنُ أَن تُثري به وثيقةٌ مطويّةٌ، مِثْلُها، الدِّراساتِ الّتي تتناولُ شُؤونًا وقضايا تكادُ تنعدمُ التّفاصيلُ عنها؛ فقد قدَّمَ فيها شاعرٌ شهيرٌ بقلمِه، وعلى غيرِ توقُّعٍ، معلوماتٍ غايةً في النُّدْرةِ والنَّفاسةِ عن عوائدِ طبْعِ الكُتُبِ الشِّعريّةِ في العراقِ قبل نحْوِ قرنٍ من الزَّمانِ، ونسبتِه الشَّخصيّةِ منها، لا تجودُ بها المصادرُ العامّةُ في حُدُودِ ما وقفتُ عليه، وهذه من بينِ الثِّمارِ الّتي يهبُها أَدبُ الرَّسائل للباحثينَ.

وتُظهِرُ المُعطياتُ الّتي دوَّنَها الزَّهاويُّ في رسالتِه هذه نسبةً عاليةً كان يتلقّاها الشّاعرُ- المُتمتِّعُ بالشُّهْرةِ - من بيْعِ دواوينِه، يحسده عليها بلا شكٍّ، وعلى رواجِ الشِّعْرِ آنذاكَ، أَخْلافُه اليومَ من الشُّعراءِ في العراقِ والبلادِ العربيّةِ جميعًا، وبلادٍ أُخرى في العالَمِ، فيذكرُ أَنَّ سعْرَ ديوانِه الخامسِ: «اللُّبابُ»، الّذي يقعُ في زُهاءِ ٤٠٠ صفحةٍ، كانَ ثلاثَ رُبِّياتٍ[٤١]

(٤٠) كُنتُ نشرتُ في مقالتي: «لمحاتٌ من حياةِ الزّهاويِّ تكشفُها رسائلُه إلى الكرمليِّ»، المُدْرجةِ بعددِ جريدةِ (الصَّباح) ٦٣٥٥، الصّادرِ يومَ الاثنينِ ٢٣ شُباط/ فبراير ٢٠٢٦م، رسالةً نادرةً وجَّهَها الزَّهاويُّ إلى الكرمليِّ في ١٠ كانونَ الأَوّلِ/ديسمبر ١٩٢٨م، تكشفُ أَنَّ صِلتَه بأَبي شادي جمعتِ الأَدبَ والطِّبَّ معًا، فإنَّه كانَ يُجرِّبُ وصْفاتِه لمُعالجةِ آلامٍ عصبيّةٍ كانتْ تنتابُه.

(٤١) الرُّبِّيَّةُ: العُمْلةُ الرَّسميّةُ لحُكومةِ الهِنْدِ البريطانيّةِ، استُخدِمتْ في العراقِ أَيّامَ الاحتلالِ البريطانيِّ وانتدابِه، إلى أَن أُصْدِرتِ العُمْلةُ الوطنيّةُ العراقيّةُ سنةَ ١٩٣٢م. وكانتْ الرُّبِّيَّةُ تُساوي نحْوَ ٧٥ فَلْسًا. يُنْظَرُ: «مباحثُ عراقيّةٌ، في الجُغرافيةِ والتّاريخِ والآثارِ وخِطَطِ بغدادَ»، يعقوب سَرْكيس، تحقيق: معن حَمْدان علي، دارُ

في أَسـواقِ بغدادَ، حِصَّتُـه الصّافيةُ من بيْعِها كانتْ ثـلاثَ رُبِّياتٍ إِلَّا رُبْعًـا. وأَمّا صافي حِصَّتِه من عوائدِ رُباعيّاتِه- الّتي كانتْ تُباعُ نُسْـخَتُها بأَسواقِ بغدادَ برُبِّيّـةٍ واحدةٍ- فكانت رُبِّيَّةً إِلّا رُبْعًا. وهذا يعني أَنَّ النّاشرَ المُـوزِّعَ كانَ يتقاضى رُبْعَ رُبّيَّةٍ فقط عن كُلِّ نُسْخةٍ.

وخِتامًا، تُفْصِحُ الرِّسالةُ الثّانيةَ عشرةَ، والأَخيرةُ، المُؤرَّخـةُ في ٤ شُـباطَ/ فبرايـر ١٩٣٢م، عن المدى الّـذي بلغتْـه صداقـةُ الزَّهـاويِّ بالكرمـليِّ وهو في أَعوامِه الأَربعةِ الأَخيرةِ، داخِلًا في العَقْدِ السّـابعِ من عُمره، حـينَ يُبْلِغُه فيها بأَنَّه سـيعكفُ عـلى كِتابةِ ترجمةِ حياتِه خلالَ مُدَّةِ أُسـبوعٍ، ثُـمَّ يُقدِّمُها إليه بنفسِـه مع بعضِ مُؤلَّفاتِه، ليكونَ أَوَّلَ مَن يقرؤها. وأُشـيرُ هُنا إلى أَنَّ الكرمليَّ في هـذه المُدَّةِ تحديدًا، لم يعد صاحبَ مجلَّـةٍ ذائعةِ الصِّيْتِ في العراقِ والبِلادِ العربيَّةِ وبعضِ البلادِ الإِسـلاميّةِ وفي أَوسـاطِ كِبارِ المُسـتشرِقينَ في العالَـمِ، بعـد أَن كانَ أَوقـفَ (لُغة العرب) قبل شـهرٍ مُضطرًّا بسـبب تراكُـم الدُّيونِ في ظلِّ أَزمةِ كسـادٍ ضربتِ الاقتصادَ العالميَّ مطلعَ العَقْـدِ الثَّلاثينيِّ[٤٢]. وهذه الواقِعةُ قد تُشـيُر إلى أَنَّ صداقةَ الزَّهاويِّ معه مُنَزَّهةٌ عن الأَغراضِ والمصالحِ الّتي قد تُقوِّي أَو تُضْعِفُ علاقاتٍ أُخرى لم تقمْ على أَساسٍ متينٍ.

أَمّـا السِّـيرةُ الّتي يذكـرُ الزَّهاويُّ أَنَّـه شرعَ في تدوينِها، فقد رجَّحتُ، في هامشٍ على الرِّسـالةِ، أَنَّها تلكَ الّتي نشرَها الباحثُ المصريُّ أَحمد مُحمَّد عيش، مع جُملةٍ من رسـائلِ الزَّهـاويِّ إليه، على صفحاتِ مجلّـةِ (الكاتـب المـصريّ)، الّتـي كان يُصدرهـا بالقاهرةِ الدّكتور طه حُسـين، وذلـك بعد انقضاء عشرةِ أَعوامٍ على رحيلِ الزّهاويِّ.

الأُصولُ الخَطّيَّةُ لرسائلِ الزَّهاويِّ، وخطواتُ التَّحقيقِ والتَّعليقِ:

تحتفِـظُ بأُصُـولِ هذه الرَّسـائلِ الخطِّيَّـةِ، دارُ المخطوطـاتِ العراقيّةُ التّابعةُ لهيـأةِ الآثارِ والتُّراثِ بوزارةِ الثَّقافةِ والسِّياحةِ والآثارِ، في مقرِّها ببغدادَ، تحـتَ الرَّقـمِ (٣٤٤٨٩)، بعـدَ أَن أَودعَهـا تِلميذا الكرمليِّ الباحثـانِ الفاضلانِ الرّاحـلانِ: گورگيس عَوّاد وميخائيل عَوّاد[٤٣] في مكتبةِ المتْحَفِ العراقيِّ في ثمانينيّاتِ القرنِ الماضي، لتُحْفَظَ- فيما بعدُ- في دارِ المخطوطاتِ عُقْبَ إنشائها نهايةَ ذلك العَقْدِ. والمُتاحُ منها في الدّارِ حاليًّا رسائلُ الزَّهاويِّ إلى الكرمليِّ، أَمّا إجاباتُها (أَي رسـائلُ الكرمليِّ إلى الزَّهاويِّ) فهيَ- كما سـنرى في المبْحَثِ اللّاحقِ- مجهولةُ المصيرِ، ولا تـزالُ تنتظرُ مَن يكشـفُ عنها النِّقـابَ، مع نظائرَ لها مِمّـا كتبتْه أَنامـلُ أَقطابِ النَّهضـةِ الحديثةِ في العراقِ والبـلادِ العربيّةِ، الّذين غاب عن الدّارسـينَ مُعظَـمُ مُكاتباتِهم الشَّـخصيّةِ ومُدوّناتِهـم الذّاتيّةِ الّتي تُمثِّلُ ثـروةً ثقافيّةً نادرةً، كاشِـفةً عن تاريخِ مـا أَهملَه التّاريخُ من لحظاتٍ مُؤثِّرةٍ في حياتِهم، لم

الرَّشيدِ للنَّشْرِ، بغداد، ١٩٨١: ٣/٢٢.

(٤٢) تُنظَـرُ في احتجـابِ مجلَّـةِ (لُغـة العـرب) مقالتـي الموسـومةُ: «عطَّلَتْها الحربُ الكَوْنيّـةُ الأُولى ١٢ عامًا، وأَوقَفَها كَسـادُ الثَّلاثينيّاتِ العالميُّ، مُكاباداتُ الكرمليِّ ومَسرّاتُه في إصدارِ أَعْـرقِ مجلَّةٍ ثقافيّةٍ ببغدادَ»، الّتي نُشِرَتْ في قِسـمَيْنِ بجريدةِ (الزَّمان) البغداديّةِ، العددُ ٦٦٠٥ الصّـادرُ يومَ الاثنَـيْنِ ٩ آذار/مارس ٢٠٢٠م: الصَّفحةُ الخامِسةُ. والعددُ ٦٦٠٦ الصّادرُ يومَ الثُّلاثاء ١٠ آذار/مارس ٢٠٢٠م: الصَّفحةُ الخامِسةُ.

(٤٣) كانَ الكرمليُّ قد أَهداهُما، سـنةَ ١٩٤٣م، ملفّاتٍ تضمُ كُلَّ مـا ورده من رسـائلَ، وهي تُعدُّ بـالآلاف، بعدَ أَنْ تطوَّعا لتنظيمِها وتنسيقِها بحسبِ المُرْسِلِيْنَ، واستغرقَ عملُهمـا هذا عامًا كامِلًا. يُنْظَرُ في ذلكَ: «الأَخَوانِ عَوّاد: تتبُّعٌ .. ومُتابعةٌ»، رشـيد الرَّمّاحـيُّ، مجلَّةُ (أَلف باء) البغداديّةُ، العددُ ٤٤٧، السَّـنةُ التّاسعةُ، ١٣ نَيْسان/أبريل ١٩٧٧م: ص ٤٦- ٤٩.

تجدْ- من أَسَفٍ- العنايةَ اللّازمةَ بها من مُؤسَّساتِ البِـلادِ الثَّقافيّةِ خِلافًا لِما يُتَوقَّعُ منها، ولا من أَغلبِ تلامذتِهم وأَبنائهم وأَوساطِ المعنيِّينَ(٤٤).

أَمّا عن خطواتِ تحقيقِ هذه الرَّسـائلِ والتَّعليقِ عليها، فتمثَّلتْ بالآتي بيانُه.

- تدوينُ نُصُوصِ الرَّسـائلِ كما كتبَها الزَّهاويُّ، مع تشـكيلِ الأَلفاظِ، بمـا يُوجبُه عِلمـا النَّحْوِ والصَّرْفِ.
- استخدامُ علاماتِ التَّرقيمِ، من النِّقاطِ والفوارزِ الاعتياديّةِ والمنقوطةِ وسِواها، على وِفْقِ ما اعتادَ عليه الكُتّابُ اليومَ.
- إيـرادُ ما دَوَّنَه الكرمليُّ على أُصُولِ الرَّسـائلِ في الهوامشِ، كتدوينِ تاريخِ وُصُولِها إذا لم يُدوِّنْهُ الزَّهـاويُّ، أَو ذِكْـرِ التّاريخِ على وِفْـقَ التَّقويمِ الميلاديِّ إذا استخدمَ الزَّهاويِّ التَّقويمَ الهِجْريَّ الشَّمسيَّ المعروفَ بالسِّنينِ الماليّةِ الرُّوميّةِ، الّذي اسـتحدثتْه الدَّولةُ العُثمانيّـةُ في عهْدِها الأَخيرِ. وقـد اقتصرَ الزَّهـاويُّ في الرَّسـائلِ المُوجَّهةِ في العهْدِ العُثمانيِّ عـلى تدوينِ التّاريخِ وفقًا لهذا التَّقويمِ الرَّسميِّ.
- اسـتخراجُ التّاريـخِ الميـلاديِّ المُوافِـقِ لتاريخِ التَّقويمِ الهِجْريِّ الشَّـمْسيِّ المعروفِ بالسِّـنينِ الماليّـةِ الرُّوميّـةِ، ووضْعُـه في الهامـشِ، إذا اقتصرتِ الرِّسـالةُ على ذِكْرِ الأَخـيرِ ولم يُحوِّلْهُ الكرمليُّ.
- الإشـارةُ إِلى كُلِّ مـا يُخالِفُ قواعدَ علْـمِ النَّحْوِ، أَو يتعـارضُ مع القواعدِ الإملائيّةِ المُتَّبعةِ اليومَ في رَسْـمِ الحُروفِ. وقـد أَبقيتُ الكلمـاتِ الّتي وجدتُها مُخالِفةً لهذه القواعدِ كما هي في المَتْنِ، وأشرتُ في الهامـش إِلى ما رأيتُـه صوابًا. وهي حالاتٌ نادرةٌ.
- تخريجُ الأَشعارِ.
- وضْعُ شُرُوحٍ في الهامشِ لمُفرداتٍ غامضةٍ، وفكُّ الالتباساتِ في بعضِ العِباراتِ.
- إعدادُ تراجِـمَ للتَّعريفِ بالأَعـلامِ الّذين وردتْ أَسماؤهم في مُتُونِ الرَّسائلِ.
- إعـدادُ تعريفٍ بالكُتُبِ المخطوطـةِ والمطبوعةِ، والمجلّاتِ، والجرائدِ.
- إعدادُ توثيقٍ كاملٍ للمقالاتِ الّتي وردتِ الإشارةُ إليها في نُصُوصِ الرَّسائلِ.
- التّوسّـعُ في توضيحِ مسـألةٍ ما مسكوتٍ عنها، بالاستنادِ إِلى مصادرَ ومراجعَ موثوقةٍ.
- إيـرادُ فِقْـراتٍ مـن السِّـيَرِ الذّاتيّـةِ المنشـورةِ للزّهاويِّ، أَو من رسائلَ مطبوعةٍ أَو من مقالاتٍ وكُتُبٍ منشورةٍ، تُعضِّدُ بعضَ ما وردَ في رسائلِ الكِتـابِ، أو تُضِيْفُ جديدًا على ما جاء فيها، أو تكشِفُ عن وجهٍ آخرَ للحقيقةِ.
- إدراجُ صُـوَرٍ لأُصولِ الرَّسـائلِ الخطِّيّةِ المُدوَّنةِ بقلم الزَّهاويِّ توثيقًا لهـا، ولإضفاء المصداقيّةِ على العملِ.

مصيرُ تَرِكَةِ الزَّهاويِّ الوثائقيّةِ، ورسائلِ الكرمليِّ المُوجَّهةِ إليه:

مـاتَ الزَّهاويُّ مسـاءَ يـومِ الأَحدِ ٢٣ شُـباط/ فبراير سنةِ ١٩٣٦م ولم يُعَقِّبْ، وكانَ قد صرَّحَ بأَنّه تـزوَّجَ وهو في سـنِّ الثَّلاثينَ بالآنسـةِ التُّركيّةِ زكيّة هانـم الّتي تصغـره بأَربعةَ عشرَ عامًا، وقـالَ إِنّها

(٤٤) المحتوى الختاميُّ للفِقْرةِ أَعلاه مُسـتقًى بتصرُّفٍ من دراسـتي: «صفحاتٌ مـن تاريخٍ مُسْـتَعادٍ لِراهِبَيْنِ في مِحْرابِ التُّراثِ، رسـائلُ سُـليمانَ الصّائغِ إِلى أَنِسْتاسَ الكرمـليِّ (١٩٢٢- ١٩٣١م)»، المنشـورةِ في العـددِ الفصـليِّ الثّالـثِ مـن المُجلَّدِ ٥١ مـن مجلَّـةِ (المورد) التُّراثيّـةِ الفصليّةِ المُحَكَّمـةِ، الصّادرِ في خريفِ سـنةِ ٢٠٢٤م: ص١٧٣.

مـن بيتٍ تُركيٍّ شريفٍ[٤٥]، وإنَّها لـم تلدْ له، ورُبَّما كانَ هـو السَّـبَبَ[٤٦]. وظلَّـتْ هذه السَّـيّدةُ تعيشُ وحيـدةً في بيتِها بعدَ رحيلِه، ولعلَّهـا قد بقيَ معها خادمةٌ تتولَّى الطَّبْـخَ من بينِ الخَدَمِ الثلاثةِ في الدّارِ الّذين ذكرَهم الزَّهاويُّ في ترجمةِ حياتِه قبلَ رحيلِه بأَربعةِ أَعوامٍ[٤٧]، حتَّـى أَنَّ الحُكومةَ شَّرعَتْ قانونًا خاصًّـا بحالتِها، يقـضي بإعطائها راتِـبَ زوجِها- الَّـذي كانَ يتقاضاه- كاملًا، بينمـا كانتِ القوانينُ السّاريةُ يومئذٍ تَقْصُره على النِّصْفِ فقط[٤٨]. فكأَنَّ الحُكومـةَ أَكرمتِ الزَّهاويَّ بهذا القرارِ الاسـتثنائيِّ إنصافًـا لشريكةِ حياتِـه الّتي ظلَّتْ من غـيرِ مُعِيْلٍ وهيَ في نَحْوِ السّابعةِ والخمسينَ.

وفي هذا الوضْعِ فـإنَّ كُلَّ إرثِ الزَّهاويِّ وأَوراقِه الشَّـخصيّةِ وكتاباتِـه ومُراسـلاتِه، ظـلَّ في حيازةِ زوْجِـه الّتي لا يُعـرَفُ مَتى تُوفِّيتْ، كمـا لا يُعرَفُ مصـيرُ الإرثِ الوثائقيِّ لزوجِها بعـدَ موتِها، في ظلِّ حالةٍ من عدمِ الانسـجامِ الفكـريِّ بينَه وبينَ أُسرتِه الدِّينيّةِ الّتي أَصبحَ شـقيقُه الشَّـيْخُ الفقيهُ والمُفتي مُحمَّـد سـعيد الزَّهـاويُّ عميدَها بعد وفـاةِ أَبيهما سـنةَ ١٨٩٠م[٤٩]، وعُقْبَ رحيلِ هذا الشَّـقيقِ سنةَ ١٩٢١م أَصبح ابنُه العالِمُ الشَّيخُ والدّاعيةُ المعروفُ أَمجد بنُ مُحمَّد سـعيد بنِ مُحمَّـد فَيْضي الزَّهاويُّ (١٨٨٢- ١٩٦٧م)، عميـدَ الأُسرةِ وحامِـلَ تُراثِهـا العلمـيِّ، برغمِ أَنَّه رفضَ تولِّي منصْبِ مُفتي العراقِ لَمّا عُـرِضَ عليه مُنتصَفَ الخمسـينيّاتِ من القرن الماضي. وكانت صِلتُه بعمِّه مقطوعةً شـأنَ أَبيه من قبـلُ، حتَّى قيلَ إنَّه لم يحضُرْ جِنازتَه ولا تشـييعَه، ولكـنْ جمعَهمـا القـدرُ بعدَ المـوتِ، فدُفِنَ الشِّـيْخُ الدّاعيةُ بجُوار قبرِ عمِّه الشّـاعرِ في مقبرةِ الخَيْزُرانِ بالأَعظميَّـةِ، غيرَ بعيدٍ عن مرقدِ الإمـامِ الأَعظمِ أَبي حَنِيْفةَ النُّعمان.

ومـا يهمُّنا مـن هذا الـسَرْدِ، هو مصـيرُ مكتبةِ الشّـاعرِ ووثائقِـه ومُراسـلاتِه بعدَ رحيـلِ زوجتِه التُّركيّـةِ الّتي عاشـت وحيدةً في بيتِهـا، ومن ضمنِ ذلكَ رسـائلُ الكرمليِّ المُتبادلةُ معـه، الّتي يُمكنُ أَن تُقـدِّمُ كنزًا أَدبيًّا لو تسـنَّى العُثُـورُ عليها ونشرُها. وقد لاحظتُ أَنَّه لم يُنْشَرْ من مُراسلاتِ الزَّهاويِّ مع أَعلامِ عصره سـوى بعضِ المُتفرِّقِ مِمّا كانَ بعثَ به هو إلى بعضٍ منهم كالكرمليِّ- ومُنافسِـه الشّـاعرِ معـروف عبد الغني الرُّصـافيِّ (١٨٧٥- ١٩٤٥م)، والباحـثِ المـصريِّ أَحمـد مُحمَّـد عيـش. ولكنَّني لـم أَجد- في حُـدُودِ ما وقفتُ عليه- رسـالةً واحدةً منشـورةً مِمّـا كانَ تلقّاه الزَّهاويُّ مـن كثيرٍ منهم خـلالَ عُمره الطّويـلِ وبعدَ رحيلِه. وهـذا أَمرٌ يدلُّ

(٤٥) يُنْظَـرُ: «ترجمـةُ حياتـي مُلخَّصةً»، جميـل صِدْقي الزّهاويُّ، منشورةٌ ضمنَ مقالةِ الباحثِ المصريِّ أَحمد مُحمَّد عيش: «رسـائلُ الزَّهاويِّ»، بقسـمِها الثّاني في مجلَّـة (الكاتب المـصريّ) القاهريّـةِ، بعددِها ١٦ من المُجلَّـدِ الرَّابعِ، من سـنتِها الثّانيةِ، الصّـادرِ في كانونَ الثّاني/يناير ١٩٤٧م: ص٦٤٠.

(٤٦) يُنْظَرُ: «للحقيقةِ والتّاريخِ، رسـائلُ الزَّهاويِّ»، أَحمد مُحمَّـد عيـش، مجلَّـةُ (الكاتـب المـصريّ) القاهريّةُ، بعددِهـا ١٥ مـن المُجلَّـدِ الرَّابـعِ، من سـنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٦٣.

(٤٧) يُنْظَرُ: المرجعُ السّابقُ: ص٤٦٧.

(٤٨) يُنْظَـرُ خِتـامُ مقالـةِ طـه الـرّاوي: «جميـل صِدْقي الزَّهاويُّ»، المنشورةُ في (مجلّة المجمع العلميِّ العربيِّ) الدّمشـقيّةِ، العددُ المُزدوجُ السّـابعُ والثّامنُ من المُجلَّدِ ١٤، تَمُّوز/يوليو، وآب/أَغُسْطُس ١٩٣٦م: ص٢٥٥. وختمَها مُثْنِيًا بقولِه: «وهذه مأثرةٌ للحُكومةِ سيحفَظُها لها التّاريخُ».

(٤٩) كُنـتُ قـد نـشرتُ في مقالتـي: «**لمحـاتٌ مـن حياةِ الزّهاويِّ تكشـفُها رسـائلُه إلى الكرمليِّ**»، المُدرجةِ في جريدةِ (الصَّباح) البغداديّةِ، العددُ ٦٣٥٥، الصّادرُ يومَ الاثنينِ ٢٣ شُـباط/فبراير ٢٠٢٦م. رسالةً نادرةً للزَّهاويِّ، مُؤرَّخـةً في ٢ آذارَ/مارس ١٩٠٧م، يُصرِّحُ فيها للكرمـليِّ بأَنَّ صِلتَه بأَخيـه المُفتي هذا مقطوعةٌ، وجاءَ فيها: «إنَّ مُدرِّسَ السُّـليمانيّةِ، وإن كانَ أَخي، لا يسمحُ بمُقابلتِنا... وإذا قُلتُ لحضرتِكم إنِّي لم أَره مُنذُ سنينَ فصدَّقْني».

على أَنَّ وثائقَه وتَرِكَتَهُ الأَدبيّةَ ظلَّتْ مُحْتَجَنَةً في داره أَو في مــكانٍ ما زمنًا غيرَ قصيرٍ، فلــم يُتَحْ للباحثينَ الاطّلاعُ عليهــا، أَو أَنَّ ثمَّةَ ما منعَ نشرَها بعدَ مُرورِ تسعةِ عُقُودٍ على وفاتِه، كتَلَفِها جميعًا واندثارِها أَو احتراقِها، وهو احتمالٌ قائمٌ لكنَّه مُوجِعٌ لكُلِّ مَعْنيٍّ بذاكرةِ البلادِ الثَّقافيّةِ وإِرثِ كبارِ أَعلامِها.

وإِذْ كانــتِ السَّــيِّدةُ التُّركيّةُ زكيّــةُ الزَّهاويِّ قد تَبَغْــدَدَتْ تمامًــا بعدَ أَنْ عاشــتْ في مدينــةِ زوجِها نَحْــوَ أَربعةِ عُقُــودٍ، وكرَّمَتْهــا الحُكومــةُ العراقيّةُ عُقْبَ رحيلِه بتمكينِها من تســلُّمِ راتبِه كاملًا طوالَ حياتِها، ما يُسْتَبعَدُ معه احتمالُ هجرتِها إِلى بلادِها تُركيــا، فكُنتُ أَظنُّ ظنًّا أَنَّ تَرِكَــةَ الزَّهاويِّ وأَوراقَه ومُراســلاتِه، قــد تكونُ آلَتْ- بعــدَ رحيلِها- إِلى ابنِ أَخيه: الشّاعرِ إِبراهيم أَدْهم بنِ الحاجِّ مُحمَّد صالِح بــنِ مُحمَّــد فَيْــضي الزَّهــاويِّ (١٩٠٢- ١٩٦٢م)؛ بوصْفِهِ الأَقربَ إِليه من بينِ سائرِ أَبناءِ إِخوتِه، ولأَنَّه شاعرٌ معروفٌ يُقدِّرُ مكانةَ عمِّه الأَدبيّةَ، وهو الوحيدُ من أُسرتِــه الَّذي رثــاه بقصيدةٍ منشــورةٍ عُنوانُها "واعمّاه"[٥٠]. لكنِّ هذا الظَّنَّ تبدَّدَ حيَن أَخذتُ أَتتبَّعُ أَحوالَه وظُرُوفَه، ثُمَّ اســتبعدتُ الأَمرَ حينَ علمتُ أَنَّه كانَ تعرَّضَ، في العامِ نفسِه الّذي تُوفِّيَ فيه عمُّه، إِلى حــادثِ اعتداءٍ، أَصابَه بالشَّــللِ الجُزْئيِّ، ثُمَّ بمرضٍ عَصَبيٍّ أَقعده عن العملِ الفِكْريِّ حتَّى وفاتِه[٥١].

ثُــمَّ إِنِّي وقفتُ- بعدَ مُحاولاتٍ للبحْثِ عن مصيرِ هذه الوثائقِ في دائرةٍ من المعنيِّينَ بمثلِ هذه الأُمورِ- عــلى معلومــاتٍ مُهمَّةٍ مــن صديــقٍ كُتُبــيٍّ مُتتبِّعٍ، ذكــرَ لي أَنَّ السَّــيّدةَ زكيّةَ الزَّهــاويَّ كانتْ قد باعتْ مكتبةَ زوجِهــا إِلى الكُتُبيِّ المعــروفِ محمود حِلْمي صاحبِ المكتبةِ العصْريّةِ الشَّــهيرةِ بشــارعِ المُتنبِّي وســطَ بغــدادَ القديمةِ، حيــثُ كانَ بيــتُ الزَّهاويِّ يقعُ في زُقاقٍ خلفَ تلــكَ المكتبةِ، وكانَ بينَها أَوراقُه الشَّــخصيّةُ ومُراســلاتُه. فعــزلَ صاحــبُ المكتبــةِ العَصْريّــةِ الكُتُبَ المطبوعةَ منها كــي تُعْرَضَ للبيعِ في مكتبتِــه، واحتفــظَ بــالأَوراقِ والمُراســلاتِ لديه. وكانَ مــن بينِ الّذين وقفــوا عليها الباحثُ المعروفُ المُختصُّ بالزَّهاويِّ: عبدُ الحميدِ الرُّشُوديُّ (١٩٢٩- ٢٠١٥م) في وقــتٍ مُتأَخِّــرٍ مــن حياتِــه، فحازَ على بعضٍ منها، وقد شــاهدَها الصَّديــقُ الكُتُبيُّ- الّذي روى لي هــذه الأَحــداثَ- بعينِه، ولكنَّــه لا يعلمُ الآنَ مصيرَ هذه الوثائقِ بعدَ وفاة الرَّجلَيْنِ كِلَيْهِما.

ونســتنتجُ مــن هذا أَنَّ السَّــيِّدةَ زكيّــةَ الزَّهاويَّ كانــتْ على قيْدِ الحياةِ ســنةَ ١٩٤٨م في أَقلِّ تقديرٍ، فتكــونُ عامَئذٍ قد ناهزتِ السَّــبعينَ من العُمرِ؛ ذلكَ لأَنَّ المكتبةَ العصريّةَ أُنشِــئتْ وافتُتِحتْ في ذلكَ العامِ تحديدًا. وعليه فــإِنَّ حادثةَ البَيْعِ هــذه يتحتَّمُ أَنَّها جرتْ في سنةِ ١٩٤٨م أَو ما بعدَها بقليلٍ. وهذا كُلُّه مُتَّســقٌ ومنطقيٌّ ومقبولٌ، لاســيّما أَنَّ هذه المرحلةَ مــن تاريــخِ العــراقِ والعالَمِ قــد شــهدتْ تضخُّمًا اقتصاديًّا بســببِ التَّبعاتِ الكارثيّةِ للحربِ العالميّةِ الثّانيــةِ، والمُوظَّفــونَ المُتقاعِدونَ الأَحيــاءُ، أَو الأُسَرُ المُعتمِدةُ عــلى رواتبِ المُتوفِّينَ منهم، هــم عادةً أَوَّلُ ضحايا مثلِ هذه الأَزماتِ.

ولم يكــنْ بَيْعُ المكتبــةِ المنزليّةِ أَمــرًا جديدًا على بيتِ الزَّهاويِّ الشّــاعرِ، فقد باعَ هو بنفسِه مكتبتَه بكُلِّ كُتُبِها ســنةَ ١٩٢٤م، ولم يُبْــقِ فيها إِلّا النَّادرَ كمــا قالَ[٥٢]؛ وذلك لحاجتِــه إِلى مالٍ يكفيه للهجرةِ

(٥٠) نُشِرتْ في العددِ ٥١٤ من جريدةِ (البِلاد) البغداديّةِ في سنتِها السّابعةِ، الصّادرِ في ١٢ آذارَ/مارس ١٩٣٦م، كما وثَّقَ ذلكَ الباحثُ عبدُ الحميدِ الرُّشُوديُّ الّذي أَعادَ نَشْرَها في كتابِه المرجعيِّ الضَّخْمِ: «الزَّهاويُّ، دراساتٌ ونُصُوصٌ»: ص٥٢١- ٥٢٣.

(٥١) يُنْظَرُ: «مُعجمُ الشُّــعراءِ العراقيِّــينَ المتوفِّينَ في العَصْرِ الحديثِ ولهم دِيوانٌ مطبوعٌ»، جعفر صادق حَمُّودي التَّميمــيُّ، شركةُ المعرفــةِ للنَّشْرِ والتَّوزيــعِ المحدودةُ، بغداد، ط١، ١٩٩١م: ص١٣.

(٥٢) يُنْظَرُ: «للحقيقةِ والتّاريخِ، رســائلُ الزَّهاويِّ»، أَحمد

إلى مـصرَ في ذلكَ العامِ. وقد وصفَ الزَّهاويُّ سـنةَ ١٩٣٢م، اهتمامَه بحفْظِ أَرْشيفَه وأَوراقَه الشَّخصيّةَ وما وقفَ عليه مِمّا كُتِبَ عنه في الدَّوريّاتِ، وطريقتَه في خَـزْنِ ذلكَ كُلِّه، بقولِه: "وأَمّا ما كَتَبَتْهُ المجلّاتُ في مصرَ وسُـوريةَ وأَميركا فكثيرٌ، غـيرَ أَنّي لم أَحفظْهُ جميعَه، والمحفوظُ منـه ضائعٌ في رُكامٍ من المجلّاتِ والجرائدِ وصناديقَ مملوءةٍ من الأَوراقِ، وقد رَسَـبَ عليها الغُبارُ فلا أَستطيعُ أَن أَتصفَّحَها"[٥٣].

وأُوجِّـه هُنـا دعـوةً مُلِحَّـةً إلى وزارةِ الثَّقافـةِ بمؤسَّسـتَيْها المُتخَصِّصَتيْنِ: دارِ الكُتُـبِ والوثائقِ، ودارِ المخطوطـاتِ العراقيّـةِ، للتَّحـرِّي عن مصيرِ هذه الوثائقِ النّـادرةِ، بالتَّواصلِ مع ورثةِ الرّاحلَيْنِ محمود حلمي الكُتُبيِّ والرُّشوديّ، والسَّعيِ لشرائها وحِفْظِهـا، ثُـمَّ تصنيفِهـا ورقْمَنَتِهـا، وإتاحتِهـا للباحثـينَ. فمـن واجبِ هـذه المُؤسَّسـاتِ حِفْظُ ما تبقَّى من أَرشـيفِ أَعلامِ العراقِ ونـوادِرِ وثائقِهم، بعدما تعرَّضـت له ذاكرةُ البلادِ الثَّقافيّةُ من فُقدانٍ لا يُعَوَّضُ.

حُسين مُحمَّد عَجِيْل

بغداد، مساءُ الأَحدِ ١٥ آذار/ مارس ٢٠٢٦م

(٥٣) «للحقيقةِ والتّاريخِ، رسائلُ الزَّهاويِّ»، أَحمد مُحمَّد عيـش، مجلَّةُ (الكاتب المصريّ) القاهريّةُ، بعددِها ١٥ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٥٥.

مُحمَّـد عيـش، مجلَّـةُ (الكاتـب المـصريّ) القاهريّةُ، بعددِهـا ١٥ مـن المُجلَّـدِ الرَّابـعِ، من سـنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٥٩.

الرَّسائلُ

(١)

حضرةُ الأَبِ العَلّامةِ أَنِسْتاسَ طالَ عُمره[٥٤].

ليـسَ في العراقِ، فيما أَعلَمُ، كتابٌ يبحثُ عن أُدباءِ القرْنِ الثّالثَ عشرَ أَو الرّابعَ عشرَ[٥٥]. وجُلُّ ما في أَيدينا عـن الأُدباءِ في العـصْرِ الماضي: دِيوانُ ابـنِ الأُزْرِيِّ[٥٦]

(٥٤) لم يُؤرِّخِ الزَّهاويُّ رسالتَه هذه، ودوَّنَ الكرمليُّ تاريخَها في أَسـفلِها: «في ١٩ آذار سـنةَ ١٩٠٨». ثُـمَّ دَوَّنَ تحتَ التّاريخِ، هذه المُلاحظةَ في سطرٍ لاحقٍ: «مقالتي في المرآةِ المصريَّـةِ»، فلعلَّه يُشـيرُ فيها إلى جريدةٍ باسـمِ (المرآة) كانَ أَصدرَهـا بالقاهرةِ مطلعَ سـنةِ ١٩١٧م الصَّحفيُّ المـصريُّ أَحمد إبراهيم فُوْدة، أَو مجلَّةٍ بالاسـمِ نفسِـه أَصدرَهـا بالقاهرةِ أَيضًـا بعد عامٍ الصَّحفـيُّ اللُّبنانيُّ خليـل زينيّـة، كمـا جـاءَ في الجُـزءِ الرّابعِ مـن كتابِ: «تاريخُ الصِّحافةِ العربيّةِ»، فيليب دي طرَّازي، المطبعةُ الأَميركانيّـةُ، بـيروت، ١٩٣٣م: ٤/ ١٨١ (الهامـشُ ١)، ١٩٦، ٣٠٦. ولم أَجدْ لجريدةٍ أَو لِمجلَّةٍ بهذا الاسمِ ذِكْرًا في الكتـابِ المرجعـيِّ لگورگيس عوّاد: «الأَبُ أَنِسْـتاس مـاري الكرمليُّ، حياتُـه ومُؤلَّفاتُـه (١٨٦٦-١٩٤٧)»، مطبعـةُ العانـيِّ، بغـداد، ١٩٦٦م، الّذي فَهْـرَسَ فيه كُلَّ مـا وقفَ عليه من نِتاجِ أُسـتاذه الكرمليِّ، المخطوطِ والمطبوعِ- في الكُتُبِ والدَّوريّاتِ- وما كُتِبَ عنه.

(٥٥) وضـعَ الشَّـيْخُ محمـود شُـكْري الآلوسُّي كتابًا سـدَّ بـه هذه الثُّغْرةَ، عُنوانُه: «المِسْـكُ الأَذْفَـر في نَشْرِ مَزايا القرنِ الثّانيْ عـشرَ والثّالثَ عشر»، حقَّقه: د. عبدُ اللهِ الجُبُّوريُّ، وصدرَ عـن دارِ العُلُوم، الرِّياض، ١٩٨٢م. وللحـاجِّ علاءِ الدِّينِ الآلوسيِّ كتابٌ يُماثِلُه في المضمونِ، عُنوانُـه: «الـدُّرُّ المُنْتَثِر في رِجـالِ القـرنِ الثّانيْ عشرَ والثّالـثَ عشر»، حقَّقَه: جمالُ الدِّينِ الآلوسيُّ وعبدُ اللهِ الجُبُّوريُّ، وطُبِعَ في دارِ الجُمهوريّةِ، بغداد، ١٩٦٧م.

(٥٦) كاظِـم (أَو مُحمَّـد كاظِم) بـنُ مُحمَّدٍ مهـدي الأُزْريُّ (١٧٣٠- ١٧٩٦م): شـاعرٌ عراقـيٌّ كبـيرٌ، مـن أَهلِ بغـدادَ. طُبِعَ ديوانُه أَوَّلَ مـرَّةٍ بالمطبعةِ المُصطفويّةِ في بُوْمبَي بالهِنْدِ سنةَ ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م بعُنوان «ديوانُ شـيخ كاظِم الأُزْريِّ»، وناشره: السَّيِّدُ مُحمَّد رشيد بن داود السَّـعْديُّ، أَكثـره في المدائحِ النَّبويّـةِ ومدائحِ آلِ البيـتِ، ويقـعُ في (١٩٢ص). يُنْظَرُ: «الأَعـلامُ»، خيرُ الدِّينِ الـزِّرِكْليِّ، دارُ العِلْمِ للملايـين، ط١٥، ٢٠٠٢م: ٥/ ٢١٥، و«مُعجَـمُ المطبوعـاتِ العربيّـةِ والمُعرَّبـةِ»، يُوسُـف إليـان سَرْكيـس، مطبعـةُ سَرْكيـسَ بمصرَ، القاهـرة، ١٩٢٨م: ص١٥٤٠- ١٥٤١. وفيـه أَنَّ لـه قصيدةً في مدْحِ الرَّسـولِ (ص) نُشِرتْ أَيضًا في بُوْمبَي

وعبدِ الباقي العُمَريِّ[٥٧] والأَخْرسِ[٥٨] والسَّـيِّدِ حيدر الحِلِّيِّ[٥٩] والبَزّازِ الموْصِلِّي[٦٠]. وهذه الدَّواوينُ الخمسةُ مطبوعـةٌ، ودِيـوانُ السَّـيِّدِ صالـح التَّمِيْمـيِّ[٦١] غيْر مطبـوعٍ بعدُ[٦٢]. وقـد بِيْعَ في جُمْلةِ مـا بِيْعَ من كُتُبِ ابنِ المِعْمارِ[٦٣].

والسَّلامُ عليكم ورحمةُ اللهِ وبركاتُه.

مُحِبُّكم

جميل صِدْقي الزَّهاويُّ

بالهندِ سنةَ ١٣٠٠هـ/١٨٨٣م، بعُنوان «قُرآنُ الشِّعْرِ الأَكبر وفُرْقانُ الفصْلِ الأَزهر» مع تخميسِـها للشّـيخ جابر بن عبد الحُسينِ الرّبعيِّ الكاظِميِّ، ويقعُ الكتابُ في (١٠٤ص).

وأَعادَ الباحثُ شاكر هادي شُكر إصدارَ الدِّيوانِ مُحقَّقًا على سبْعِ نُسَـخٍ فضلًا عن المطبوعةِ، مع الشَّرْحِ والتَّعليقِ، بزيادةِ إحدى وخمسينَ قصيدةً وقِطْعةً لم تَرِدْ في طبْعةِ الهندِ، ضمَّتْ ١١٦٤ بيتًا. ونُشِرَ التَّحقيقُ مُتسلسِـلًا بخمسـةِ أَقسامٍ في مجلَّةِ (المورد) تحتَ عُنوان: «ديوانُ الشَّـيْخِ كاظِـمٍ الأَزْريِّ (١١٤٣- ١٢١٣هـ)»، ابتداءً بالعـددِ الثّاني من المُجلَّدِ الرّابعِ، الصّادرِ صيفَ سـنةِ ١٩٧٥م، وانتهـاءً بالعددِ الرّابعِ مـن المُجلَّد الخامسِ، الصّادرِ شتاءَ سنةِ ١٩٧٦م.

(٥٧) عبدُ الباقي بنُ سُـليمانَ بن أَحمـدَ العُمَريُّ الفاروقيُّ (١٧٩٠- ١٨٦٢م): شـاعرٌ، مُـؤرِّخٌ. وُلِـدَ في المَوْصِلِ وانتقـلَ إلى بغـدادَ، فتولَّى بعـضَ الأَعمـالِ الحُكوميّةِ. وتُوفِّيَ فيها. طُبِعَ ديوانُه: «التِّرياقُ الفاروقي في مُنشئاتِ الفاروقي» باعتناءِ الشَّـيْخِ عُثمـانَ المَوْصِليِّ في مطبعةِ حسـن الطُّوْخي بالقاهرةِ سـنةَ ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م. يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّركْلِيُّ: ٣/ ٢٧١- ٢٧٢، و«مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُـف إليان سَرْكيس: ص١٣٨٣- ١٣٨٤.

(٥٨) عبـدُ الغَفّار بنُ عبدِ الواحدِ بن وَهْبٍ، الملقَّبُ بالأَخرس (١٨١٠- ١٨٧٣م): مـن مشـاهيرِ شُـعراءِ العراقِ في القـرنِ التّاسِـعَ عشرَ. وُلِـدَ في المَوْصِلِ، ونشـأَ ببغدادَ، وتُوفِّيَ بالبصرةِ. لُقِّبَ بالأَخرسِ لحُبْسةٍ كانتْ في لِسانِه. طُبِـعَ ديوانُه: «الطِّـرازُ الأَنْفَس في شـعرِ الأَخْرَس» في مطبعةِ الجوائبِ بالآسـتانةِ سنةَ ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م. يُنْظَـرُ: «الأَعـلامُ»، خـيرُ الدِّيْـنِ الـزِّركْلِيُّ: ٢/ ٢٩٠، و«مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُـف إليان سَرْكيس: ص٧٨٨.

(٥٩) حيدر بنُ سـليمانَ بن داودَ الحِلِّيُّ الحُسينيُّ (١٨٣١- ١٨٨٦م): شاعرٌ عراقيٌّ، يُعدُّ من أَكابرِ شُعراءِ عَصْره. مَوْلِـده ووفاتُه في مدينةِ الحِلَّـةِ جنوبَ بغدادَ، ودُفِنَ في مدينـةِ النَّجَف. طُبِـعَ دِيوانُه: «الـدُّرُّ اليتيمُ» في مدينةِ بُوْمبَـي بالهندِ سـنةَ ١٣٢٠هـ/١٩٠٢م. انتحَى في أَكثر شِـعْره مَـدْحَ آلَ البيْـتِ. يُنْظَرُ: «الأَعـلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّركْلِيُّ: ٢/ ٢٩٠، و«مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُف إليان سَرْكيس: ص٧٨٨.

(٦٠) الملّا حسـن بنُ الملّا حُسـين بـن عليّ الشَّـهير بالبَزّازِ (١٨٤٥-١٨٨٧م): مـن شُـعراءِ المَوْصِـلِ. مَوْلِـده ووفاتُـه فيهـا. طُبِـعَ ديوانُـه في مطبعةِ شَرَف سـنةَ ١٣٠٥هـ/١٨٨٧م. يُنْظَـرُ: «الأَعـلامُ»، خـيرُ الدِّيْنِ الـزِّركْلِيُّ: ٢/ ١٨٩، و«مُعجَـمُ المطبوعـاتِ العربيّـةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُف إليان سَرْكيس: ص٥٥٥.

(٦١) صالـحُ بـنُ دَرْويشِ بـن زينـيِّ التَّمِيْمِـيُّ (١٧٧٦- ١٨٤٥م): شـاعرٌ، مُـؤرِّخٌ، نَجْـدِيُّ الأَصْـلِ. وُلِـدَ في الكاظميّـةِ ببغدادَ، ونشـأَ في مدينةِ النَّجَـفِ، وتُوفِّيَ في بغدادَ. اتَّصَلَ بوالي بغدادَ الشَّـهيرِ داود باشـا، فجعلَه في جُمْلةِ كُتّـابِ الدِّيوانِ. يُنْظَرُ: «الأَعـلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّركْلِيُّ: ٣/ ١٩١.

(٦٢) طُبِـعَ «ديـوانُ التَّمِيْمِـيِّ» في مطبعةِ الزَّهـراءِ بمدينةِ النَّجَـفِ سـنةَ ١٩٤٨م بتحقيـقِ: مُحمَّد رِضا السَّـيِّد سُـليمان وعـليّ الخاقانـيِّ. يُنْظَـرُ: «مُعجَـمُ المُؤلِّفينَ العراقيِّين في القرنَيْنِ التّاسـعَ عشرَ والعِشرين ١٨٠٠- ١٩٦٩»، گورگيس عَوّاد:٢/ ١١٩، و«المُعجَمُ الشّـامِلُ للتُّراثِ العربيِّ المطبوع»، جَمْعُ وإعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة، معهـدُ المخطوطاتِ العربيّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢- ١٩٩٣م، ١/ ٢٦٠-٢٦١.

(٦٣) بغداديٌّ، عاشَ نهايةَ القرنِ التّاسعَ عشَر ومطلعَ القرنِ العشرينَ، كانَـت لديه خزانةُ كُتُـبٍ تضمُّ مخطوطاتٍ نادرةً. وردَ ذِكْره في كتابِ: «أَدبُ الرَّسائلِ بينَ الآلُوسيِّ والكرمليِّ»، دارُ الرّائدِ العربيِّ، تحقيق: گورگيس عَوّاد وميخائيل عَوّاد، بيروت، ١٩٨٧م: ص٢٢٠. في رِسالةِ الكرمـليِّ المُؤرَّخـةِ في ١ تمُّوز/يوليـو ١٩٠٧م (ذاتِ الرَّقم: ٩٨) وفيها أَنَّ اسمَه (حسن أَفندي)، وفي رسالةِ الآلـوسيِّ المُؤرَّخـةِ في ١ تمُّوز/يوليـو ١٩٠٧م (ذاتِ الرَّقـم: ٩٩) وفي رسـالةٍ أُخرى للآلـوسيِّ (ص٢٢٧) مُؤرَّخـةٍ في ١٤ آذار/مـارس ١٩٠٨م (ذاتِ الرَّقـم: ١٠٥) وفيهما أَنَّ اسـمَه (حسين أَفندي). وفي الرِّسالةِ الأَخـيرةِ أَنَّ كُتُبَـه بِيْعتْ ببغدادَ في شـهرِ آذارَ/مارس ١٩٠٨م. والمُرجَّـحُ أَنَّـه تُوفِّيَ قُبيلَ بَيْـعِ كُتُبِه الخطِّيّة. وكانتْ بعضُ الأُسَرِ تبيعُ كُتُبَ الأَشـخاصِ المُتوفَّينَ إِنْ لم تكنْ لدى أَبنائهم حاجةٌ بها.

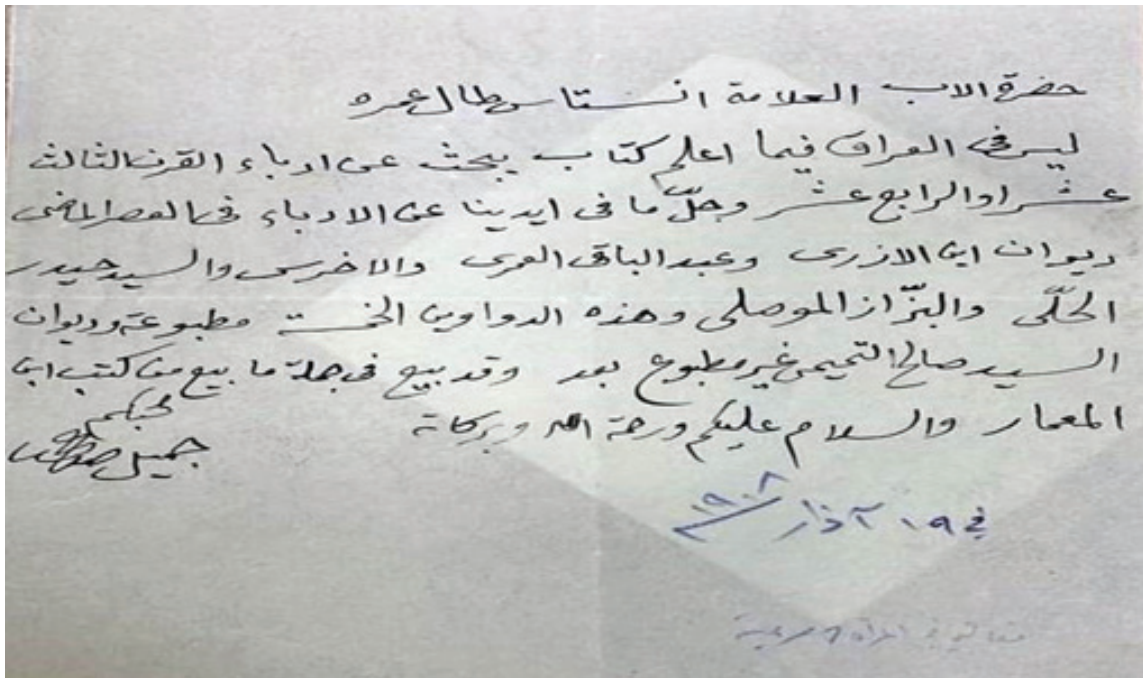
حضرة الاب العلامة انستاس طال عمره
ليس في العراق فيما اعلم كتاب بحث عن ادباء القرن الثالث
عشر والرابع عشر وجل ما في ايدينا عن الادباء في المصراعين
ديوان ابي الاذرى وعبد الباقي العمري والاخرس والسيد حيدر
الحلي والبزاز الموصلي وهذه الدواوين الخمسة مطبوعة وديوان
السيد صالح التميمي غير مطبوع بعد وقد بيع في جملة ما بيع من كتب ابي
المعالي والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته
جميل
في ١٩ آذار

(٢)

حضرةُ الأَبِ العَلّامةِ.

شــفيتُ نفسي من مُطالَعةِ حَماسةِ البُحْتريِّ[٦٤] إلى آخرِهــا، فهــا أَنــا مُرْجِعُهــا إليكَ أَيُّهــا الصَّديقُ الحميمُ، شاكِرًا فضْلَكَ.

وأَمّا ديوانُ الفَرَزْدَقِ[٦٥]، فليبقَ عندكَ ما شِــئتَ

(٦٤) كانتْ «حماسةُ البُحْتُريِّ» لأَبــي عُبادةَ الوليدِ بنِ عُبيدِ بــنِ يحيى الطّائيِّ، المشــهورِ بالبُحْتُريِّ (المُتوفَّى ســنةَ ٢٨٤هـــ/٨٩٨م)، قــد طُبِعــتْ أَوَّلَ مــرَّةٍ في المطبعةِ اليَسُوْعِيّةِ ببيروتَ سنةَ ١٩١٠م- أَي قبلَ عامٍ واحدٍ من كتابةِ الزَّهاويِّ رسالتَه هذه- بعنايةِ الأَبِ لويس شِيْخو اليَسُوْعِيِّ عن مخطوطةٍ فريدةٍ محفوظةٍ بمكتبة لِيْدن بهولندا لا يُعرَفُ لها نُسْخةٌ أُخرى في العالَمِ، وصدَّرَها بمُقدِّمــةٍ باللُّغةِ الفرنســيّةِ (في أَربــعِ صفحاتٍ) عَرَّفَ فيهــا بالكتابِ وبمنهجِه. جعلَ البُحْتُريُّ كتابَه في ١٧٤ بابًا، اشــتملتْ على ١٤٥٤ مقطوعةً شــعريّةً، لــ ٦٣٠ شــاعرًا، كثيرٌ منهم لم يَرِدوا في غيرِه. وحرصَ شِــيْخو على أَن يكونَ النَّصُّ مضبوطًا بالشَّــكْلِ، مع بيانِ بحْرِ كُلِّ مقطوعــةٍ، ورقْمِهــا في الكتــابِ. ومِمّــا يُؤخَذُ على هذه النَشْرةِ غيرِ المســبوقةِ: خُلُوُّها من تخريجِ الشِّعْرِ، وسُــقُوطُ ثماني مقطوعــاتٍ منها، وكثــرةُ ما اعتراها مــن غَلَطٍ، حاولَ شِــيْخو إِصلاحَه بمُلحــقٍ كبيرٍ (جاءَ في ٢٣ صفحــةً بالحرفِ الصَّغيرِ)، فضْلًا عن أَوهامٍ في أَســماءِ الشُّعراءِ. يُنْظَرُ في ذلك: مُقدِّمةُ مُحقِّقي النَّشْرةِ الخامســةِ للكتــابِ، وهمــا: د. مُحمَّد إبراهيــم حُوَّر، وأَحمد مُحمَّد عُبيد، الصّادرةِ ســنةَ ٢٠٠٧م عن هيئةِ (أَبو ظَبِي) للثَّقافةِ والتُّراثِ، وقالا فيها أَيضًا (ص١١) عن صنيعِ الأَبِ شِــيْخو: «والّذي لا شــكَّ فيه أَنَّ لويس شِــيْخو قد تــصرَّفَ في كثيرٍ مــن النُّصُــوصِ بالحَذْفِ والتَّغييرِ دُونَ وازعٍ».

(٦٥) لا يُعرفُ ما إِذا كانَتْ نُسخةُ الزَّهاويِّ من هذا الدِّيوانِ مخطوطةً أَم مطبوعةً. وقبلَ تاريخِ هذه الرِّسالةِ، كانَ «ديــوانُ الفَــرَزْدَقِ»، أَبي فِــراسٍ، همَّامِ بــنِ غالبِ بنِ صَعْصَعَةَ التَّميميِّ الدَّارمــيِّ (المُتوفَّى مُقارِبًا المئةَ عامٍ، في باديةِ البصْرةِ، سنةَ ١١٠هــ/٧٢٨م)، قد طُبِعَ ثلاثَ مرّاتٍ: الأُولى تولّاها المُستشرِقُ الفرنسيُّ ريشار بوشيه، مع ترجمةٍ فرنسيّةٍ، مُعتمِدًا على مخطوطةِ أَيا صوْفيا، وصدرَ منــه بباريسَ ســنةَ ١٨٧٠م الجُــزءُ الأَوَّلُ. ثُمَّ طُبِعتْ بالتَّصويرِ الفُتوغرافيِّ، في مدينةِ ميونخَ الأَلمانيّةِ، تكملةُ الدِّيوانِ الّذي نَشَره ريشار بوشيه عن مخطوطةِ أَيا صوْفيا، بعنايةِ المُســتشرِقِ الأَلمانيِّ الدّكتور يُوسُف هيل، وصدرتْ بمُجلَّدَيْنِ سنةَ ١٩٠٠ و١٩٠١م. وبينَ هاتَــيْنِ النَّشْرتَــيْنِ، طُبِعَ الدِّيــوانُ في المطبعــةِ الوَهْبيَّةِ بالقاهــرةِ ســنةَ ١٢٩٣هـ/١٨٧٦م بعنايــةِ أَمين عُمر زيتونة، ضمنَ مجموعٍ شــعريٍّ ضمَّ دواوينَ خمســةِ شُــعراءَ أَحدُهــم الفَــرَزْدَقُ. يُنْظَــرُ: «تاريــخُ الــتُّراثِ العربيِّ»، فُؤاد ســزگين، نقلَه عــن الأَلمانيّةِ إِلى العربيّةِ: د. محمود فهمي حِجازي، وراجــعَ التَّرجمةَ: د. عَرَفة

تحقيقات

أَن يبقى. والسَّلام.

جميل صِدْقي الزَّهاويّ

في ٢٩ كانون الثّاني سنة ١٣٢٦هـ[٦٦]

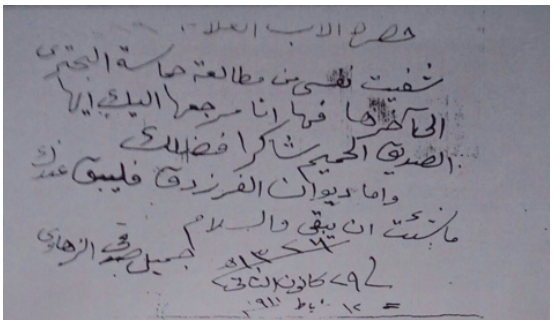

(٣)

بغدادُ في ١٥ مارت سنةَ ١٣٢٩هـ[٦٧]

حضرةُ الأَبِ العَلّامةِ.

وردَ كِتابُكم إلى البيتِ وأَنا حينئذٍ مَدْعوٌّ عند أَحدِ الأَصحابِ في خارجِ البلدِ، فوصلتُ في هذا اليومِ. أَمّا الكُتُبُ الّتي سألتموني أَسماءَها فليسَ لي عِلْمٌ بها.

وأَمّا كُتُبي المخطوطةُ فأَحَدُها: «الجديدُ» في الحِكْمةِ لابنِ كَمُّوْنةَ البغداديِّ[٦٨]، الّذي يُلَقَّبُ بشيطانِ الحُكماءِ. وهو كتابٌ ضَخْمٌ قديمٌ، ينقسمُ إلى قِسْمَيْنِ: أَحدُهما في المَنْطِقِ، والثّاني في الحِكْمة. والثّاني: «رسائلُ ابنِ الأَثير»[٦٩] كاتبِ السَّلاطين

مُصطفى ود. سعيد عبد الرَّحيم، إدارةُ الثَّقافةِ والنَّشْرِ بجامعةِ الإمامِ مُحمَّد بن سُعود الإسلاميّة، الرِّياض، ١٩٨٣م: الجُزءُ الثّاني، القسمُ الثّالثُ: ص٧٧. و«مُعجمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُف إليان سرْكِيْس: ص١٤٤٤، و«في اللُّغةِ والأَدبِ، دراساتٌ وبُحُوثٌ»، محمود مُحمَّد الطُّناحيُّ، دارُ الغربِ الإسلاميِّ، تُونُس، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م: ٢/٦٥٨.

(٦٦) هذا التّاريخُ المدوَّنُ بقلمِ الزَّهاويِّ جاءَ بالتَّقويمِ الهجْريِّ العُثمانيِّ الشَّمْسيِّ المُسمَّى بالسِّنينِ الماليّةِ الرُّوْميّةِ، وقد كَتَبَ الكرمليُّ تحتَه التّاريخَ بحسبِ التَّقويمِ الميلاديِّ: «=١٢ شُباط ١٩١١».

(٦٧) هذا التّاريخُ المدوَّنُ بقلمِ الزَّهاويِّ جاءَ بالتَّقويمِ الهجريِّ العُثمانيِّ الشَّمسيِّ أَيضًا، وهو يُوافِقُ بالتَّقويمِ الهجريِّ القمريِّ يومَ ٢٠ ربيعِ الثّاني ١٣٣١هـ، وبالتَّقويمِ الميلاديِّ ٢٧ آذارَ/مارس ١٩١٣م. تُنْظَرُ جداولُ التَّوفيقِ بين أَوائلِ السِّنينِ الرُّوْميّةِ والميلاديّةِ والهجريّةِ في بحْثِ: د. مُحمّد صِدِّيق الجليليِّ الموسوم بـ«التَّقويمُ الشَّمْسيُّ العُثمانيُّ المُسمَّى بالسِّنينِ الماليّةِ الرُّوْميّةِ»، (مجلّةُ المجمعِ العلميِّ العراقيِّ): المُجلَّدُ ٢٣، ١٩٧٣م: ص٢٢٧– ٢٣٩.

(٦٨) أَبو مُحمَّدٍ سعدُ بنُ منصورِ بنِ سعدٍ بنِ الحسنِ، عِزُّ الدَّوْلةِ، ابنُ كَمُّونةَ (المُتوفَّى سنةَ ٦٨٣هـ): كيميائيٌّ، له اشتغالٌ بالفلسفةِ والمَنْطِقِ. من أَهلِ بغدادَ. تُوفِّيَ بمدينةِ الحِلّةِ في العراقِ. له مُؤَلَّفاتٌ منها: «المَنْطِقُ والطَّبيعيُّ مع الحِكمةِ الجديدةِ» مخطوطةٌ في إسطنبول. يُنظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْليُّ: ٣/١٠٢– ١٠٣. ووردتْ إشارةٌ إلى نُسْخةِ الزَّهاويِّ الخطِّيّةِ هذه في مجلّةِ (لُغة العرب) البغداديّةِ لصاحبِها أَنْسْتاسَ الكرمليِّ: المُجلَّدُ السّادسُ (حَزيْران– يونيو ١٩٢٨م) في حاشيةِ ص٤٢١: (وَذَكَرَ النُّزْهةُ (وهو كتابُ: «نُزهةُ المُشتاق في تاريخِ يهودِ العراق»: ص١٤٤) مُؤَلَّفاتِ ابن كَمُّونةَ وقالَ: إنَّ نُسْخةً من: «الحِكْمةُ الجديدةُ في المِنْطِقِ» عندَ الأُستاذِ جميل الزَّهاويِّ). وعَقَّبَ الكرمليُّ على ذلكَ بقولِه: (واسمُ هذا الكتابِ الّذي عند الزَّهاويِّ هو«الجديد» وهو في الحِكْمةِ والمَنْطِقِ). وقد صدرَ هذا الكتابُ منشورًا ببغدادَ سنةَ ١٩٨٢م بعُنوان: «الجديدُ في الحِكْمةِ»، ضمنَ منشوراتِ وزارةِ الأَوقافِ والشُّؤونِ الدِّينيّةِ العراقيّةِ– قسْمُ الدِّراساتِ والبُحُوثِ الإسلاميّةِ، وبتحقيقِ: حميد مرعيد الكُبَيْسيِّ، الّذي اعتمدَ في تحقيقِه النَّصَّ على نُسختَيْنِ خطّيّتَيْنِ محفوظتَيْنِ في خزانتَي كوبريلي وأَحمدَ الثّالثِ بتُركيا، ولم يُشِرِ المُحقِّقُ إلى نُسْخةِ الزَّهاويِّ هذه الّتي لا يُعرَفُ، الآنَ، مصيرُها.

(٦٩) هو ضِياءُ الدِّينِ نصْرُ اللهِ بنُ مُحمَّدٍ المعروفِ – كأَخَوَيْهِ الآخرَيْنِ– بابنِ الأَثير(٥٥٨– ٦٣٧هـ): وزيرٌ، من العُلماءِ الكُتّابِ المُتَرَسِّلِيْنَ. وُلِدَ في جزيرةِ ابنِ عُمَرَ، وتعلَّمَ بالمَوْصِلِ. وتوفِّيَ ببغدادَ. من أَشهرِ مُؤَلَّفاتِه: «المَثَلُ السّائر في أَدَبِ الكاتبِ والشّاعِر». أَمّا «رسائلُ ابنِ الأَثيرِ» فقد حقَّقَ قِسْمًا منها أَنيسُ المقدسيُّ، ونشرتْهُ دارُ العِلْمِ للملايين ببيروتَ سنةَ ١٩٥٩م، وهو يقعُ في (٣٣٨ص). وحقَّقَ قِسْمَها الآخرَ: د. نوري حَمُّودي القَيْسيِّ وهِلال ناجي، وقد طُبِعَ هذا القِسْمُ في مُديريّةِ مطبعةِ جامعةِ المَوْصِلِ سنةَ ١٩٨٢م، وهو يقعُ في (١٧٨ص). يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْليُّ: ٨/٣١، و«المُعجَمُ الشّاملُ للتُّراثِ العربيِّ المطبوع»، جَمْعُ وإعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة: ١/٣٠.

الأَيُّوبِيَّة. وهو أَبلغُ كتابٍ في العربيّة، يُفَصِّلُ صاحبُها بعـضَ الوقائعِ الصَّلِيْبِيّة للخليفةِ العبّاسيِّ، وأَكثرُها رسائلُ خاصّةٌ بليغةٌ جدًّا.

والثّالثُ: «إثبـاتُ الواجب الجديد» لُلّا جلال[٧٠] مع شَرْحٍ وافٍ.

والرّابـعُ: "منطـقُ التَّجريـدِ" لنصـيرِ الدِّيـنِ الطُّوْسِيِّ[٧١].

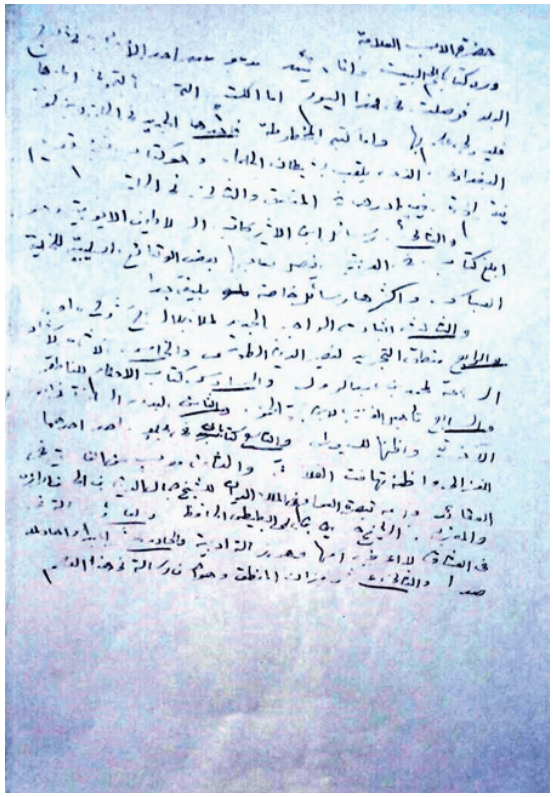

والخامسُ: «الإشاعةُ لأَشراطِ السّاعة» لُمحمَّدِ بنِ عبدِ الرَّسولِ[٧٢].

والسّادسُ: «كتابُ الأَحكام» للنّاطِفيِّ[٧٣].

(٧٠) ترجمَ له مُعاصِره شـمسُ الدِّين السَّـخاويُّ في كتابه: «الضَّـوءُ اللّامِع لأَهلِ القَرْنِ التّاسـع»، منشـوراتُ دار مكتبـةِ الحيـاةِ، بـيروت (ب. ت): ٧/ ١٣٣، فذكرَ أَنَّه مُحَمَّـدٌ بن أَسـعدَ جـلالُ الدِّيـنِ الصَّدِّيقـيُّ الدَّوانيُّ الكازَرُونيَّ الشَّـافِعِيُّ القـاضي بإقليمِ فارسَ والمذكورُ بالعِلْـمِ الكثيرِ. تقدَّمَ في العُلُومِ سِـيما العقْليّاتِ، وأَخذَ عنـه أَهلُ تلكَ النَّواحـي وارتحلوا إليه من بـلادِ الرُّومِ وخُراسـانَ ومـا وراءَ النَّهرِ. وصنَّفَ الكثـيرَ، من ذلكَ شَرْحٌ عـلى شَرْحِ التَّجْرِيدِ للطُّـوْسِيِّ، عَمَّ الانتفاعُ به. ثُمّ قالَ: «وهو الآنَ في سـنةِ سبعٍ وتسعينَ (وثمانمئةٍ) حَيٌّ ابنُ بِضْعٍ وسبعينَ». وفي «كَشْـفِ الظُّنُون عن أَسامي الكُتُـبِ والفُنُـون»، لُمصطفى عبدِ الله القُسـطنطينيِّ المعروفِ بكاتب چلبي وبِحاجـي خليفة، حقَّقَه وعلَّقَ عليـه: إكمـالُ الدِّين إحسـان أُوغـلي ود. بشّـار عوّاد معروف، مُؤسَّسـةُ الفُرقـانِ للتُّراثِ الإسـلاميِّ، مركزُ دراساتِ المخطوطاتِ الإسلاميّة، لندن، ط١، ٢٠٢١م: ٣/ ٧٥، أَنَّـه تُوفِّيَ سـنةَ ٩٠٧هـ. وذُكِرَ لـه فيه كثيرٌ من المُؤَلَّفـاتِ. ومنهـا (في: ٤/ ٥٤): «رسـالةٌ في إثباتِ الواجـبِ»: جماعةٌ مـن الفُضَلاءِ، منهم: جـلالُ الدِّينِ مُحمَّـدُ بنُ أَسـعدَ الصِّدِّيقيِّ الدَّوانيِّ... وله رسـالتانِ قديمةٌ وجديدةٌ. أَوَّلُ القديمةِ: سُـبْحانَكَ سُـبْحانَكَ ما أَعظَـمَ شـانَكَ ... إلخ. قالَ: وقـد كُتِبْـتْ في يومَيْنِ من أَقْـصَرِ أَيّـامِ الصَّيْفِ، وأَهـداه إلى بعْضِ السَّـلاطينِ». والزَّهاويُّ في رسالتِه يُشيرُ إلى شَرْحٍ لها وافٍ.

و«الواجـبُ» في مُصطلـحِ المُتكلِّمـينَ هو البارئُ عـزَّ وجلَّ. ولـم أَقِفْ عـلى هذه الرِّسـالةِ مطبوعةً. ومنها نُسْـخةٌ في مجمـوعٍ محفوظٍ بـدارِ الكُتُبِ المصريّـةِ بالقاهرةِ، (مجاميـعُ طَلْعـت ٢٣١، الرِّسـالةُ رقـم ١) تقـعُ في (٢٤ص) نُسِخَتْ سنةَ ١١٨١هـ/١٧٦٧م.

(٧١) أبو جعفرٍ مُحَمَّدُ بنُ محمدٍ بن الحسنِ المعروفُ بنصيرِ الدِّيـنِ الطُّوْسِيِّ (٥٩٧- ٦٧٢هـ): فيلسـوفٌ، مُتضلِّعٌ من العُلُومِ العقليّةِ، وعالِمٌ بالأَرصادِ والرِّياضيّاتِ. وُلِدَ في طُـوْسَ من بلادِ فارسَ. وصَنَّـفَ كُتُبًا جليلةً، وتُوفِّيَ ببغدادَ. يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْلِيُّ: ٧/ ٣٠-٣١. أَمّا كتابُه «منطِقُ التَّجريدِ» فهو أَحدُ أَهمِّ مُؤَلَّفاتِه في علْـمِ المنْطِـقِ، وقد شرحَه غـيرُ واحدٍ مـن العُلماءِ، أَشهرُهم العلّامَةُ الحِلِّيُّ في شرحِهِ الموسومِ بـ: «الجوْهرُ النَّضيـد في شَرْحِ منْطِقِ التَّجريد». تُنْظَرُ: «الذَّريعة إلى تصانيفِ الشِّيْعَة»، آقا بُزرك الطَّهرانيُّ، دارُ الأَضواءِ، بيروت، ١٩٨٣م: ٢٣/ ٧٦.

(٧٢) مُحمَّـدُ بـنُ عبـدِ الرَّسـولِ البَرزَنْجـيُّ (المتوفَّ سـنةَ ١١٠٣هـ/ ١٦٩١م): مـن عُلمـاء العـراقِ. وُلِـدَ في شَـهَرَزُوْرَ، وتُوفِّيَ بالمدينةِ المُنوَّرةِ ودُفِنَ بها. وقد طُبِعَ كتابُه «الإشـاعة لأَشراطِ السّـاعة» في مطبعةِ السَّعادة بالقاهرةِ سـنةَ ١٩٠٧م. يُنْظَرُ: «مُعجَـمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبة»، يُوسُـف إليـان سَرْكيس: ص٥٥٠ و«المُعجَـمُ الشّـامِلُ للـتُّراثِ العربيِّ المطبـوع»، جَمْعُ وإعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة: ١/ ١٦٧.

(٧٣) أَبو العبّاسِ أَحمدُ بنُ مُحمَّدِ بن عُمَرَ النَّاطفيُّ (المتوفَّ سـنةَ ٤٤٦هـ/ ١٠٥٥م): فقيـهٌ حَنَفِـيٌّ، مـن أَهـلِ الرِّيّ. له مُؤَلَّفاتٌ يبـدو أَنَّها ما تزالُ مخطوطةً، منها:

والسّـابعُ: «تأهيـلُ الغريـب» لابـنِ حِجَّـةَ الحَمَويِّ(٧٤).

والثّامـنُ: «البُدُورُ السَّـافرة في أَحـوال الآخِرة» وأَظنُّها للسَّيوطيِّ(٧٥).

والتّاسعُ: كِتابان في مُجَلَّدٍ واحدٍ، أَحدُهما للغزاليِّ،

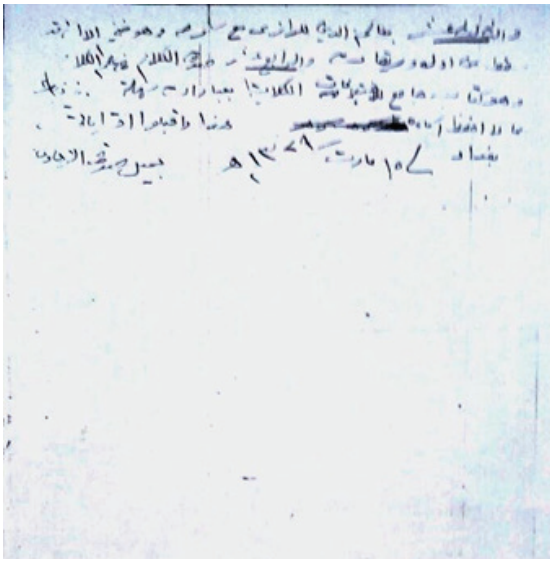

وأَظنُّـه «تهافُتُ الفلاسـفةِ»(٧٦)، والثّاني مُعَرَّبٌ عن الفارسـيّةِ في العقائدِ، واسـمُه: «تبـصرةُ العوام في الملـك العوام»(٧٧) للشَّـيخِ جمالِ الدِّين بنِ الحَسَـنِ الرّازيِّ، والمُعَرِّبُ الشَّـيخُ حُسـينُ بن عليّ البطيطيُّ الحافِظُ(٧٨).

والعاشرُ: رسـالةٌ في العُشّـاقِ لا أَعرفُ اسـمَها،

«الفُرُوق»، و«الرَّوْضـة»، و«الأَحكام» في الفِقْهِ. يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْلِيُّ: ١/٢١٣.

(٧٤) تقـيُّ الدِّيـنِ أَبـو بكرٍ بـنُ عليِّ بـنِ مُحمَّدٍ بـنِ حِجَّةَ الحَنَفـيُّ المعروفُ بابـنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ (المُتوفَّى سـنةَ ٨٣٧هـ/١٤٣٤م). طُبِعَ كتابُـه: «تأَهيلُ الغريبِ» في ذيْلِ كتابِه الآخرِ: «ثمراتُ الأَوراق فيما طابَ من نوادرِ الأَدبِ وراق» المطبـوعِ في المطبعـةِ الوَهْبيّـةِ بالقاهرةِ سـنةَ ١٣٠٠هـ/١٨٨٢م. يُنْظَـرُ: «مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّـةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُـف إليـان سَرْكيس: ص٧٦-٧٧. ثُـمَّ طُبِعَ الكتابُ مرَّةً أُخرى في ذيْلِ كتابِه «ثمراتُ الأَوراقِ»، أَيضًـا، ولكـنْ بعـدَ ذيْلَـيْنِ آخريـنِ للكتابِ أَحدُهما له، وذلـكَ في المطْبعةِ الخَيْريّةِ بالقاهرةِ سـنةَ ١٣٣٩هـ/١٩٢١م، وذُكِرَ في هذه الطَبْعةَ أَنَّها الأُولى.

ويُعنـى الكتابُ بجَمْعِ المعاني الغريبـةِ الّتي انفردَ باجتراحِ كُلٍّ منها شـاعرٌ مـا، فيُضيـفُ إليها المُؤلِّـفُ النَّظائرَ والأَشـباهَ مِمّا وردَ من جِنْسِها في شعْرِ غيره، بما ينفي عنها صِفةَ الغَرابةِ. وقد حقَّقَ محمود حسـن المصريُّ هـذا الكتابَ على ثلاثِ نُسَـخٍ، وصدرَ ضمنَ مطبوعاتِ نادي المدينةِ المُنوَّرةِ الأَدبيِّ، دارُ النَّوادرِ، دمشق، ط١، ٢٠١٧م. وثمَّـةَ كتابٌ آخرُ بالعُنوانِ نفسِـه، لشـمسِ الدِّينِ مُحمَّدِ بنِ حسـنِ بنِ عليٍّ النُّوّاجيِّ (المُتوفَّى سـنةَ ٨٥٩هـ/١٤٥٥م)، ضمَّ مُختاراتٍ شِـعريّةً في الغَزَلِ، صدرَتْ طبعتُه الأُولى عن مكتبةِ الآدابِ بالقاهرة، سنةَ ٢٠٠٥م، بتحقيـقِ: د. أَحمـد مُحمَّد عَطـا. ولم ترِدْ في مُقدِّمةِ المُحقِّقِ إِشـارةٌ إلى هـذا التَّماثُلِ في العُنوانِ بينَ الكتابَيْنِ، مع ضرورتِها.

(٧٥) «البُدُورُ السّافرة في أَحوالِ الآخرة»: من مؤلَّفاتِ الشَّيْخِ جلالِ الدِّين عبدِ الرَّحمنِ بنِ أَبي بكرٍ السُّيوطيِّ (المُتوفَّى سـنةَ ٩١١هـ/١٥٠٥م). طُبِـعَ الكتـابُ في مطبعةِ مُحمَّـدي في لاهـورَ بالهندِ سـنةَ ١٣١١هـ/١٨٨٣م. يُنْظَرُ: «مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُـف إليان سَرْكيـس: ص١٠٧٦ و«المُعجَمُ الشّـامِلُ للتُّراثِ العربيِّ المطبوع»، جَمْعُ وإِعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة: ٣/٢٨٦.

(٧٦) «تهافُتُ الفِلاسـفة»: من أَشـهرِ مُؤلَّفـاتِ الإِمامِ أَبي حامـدٍ مُحمدِ بـنِ مُحمَّدٍ بـنِ مُحمَّدٍ الغـزاليِّ الطُّوْسيِّ (المُتوفَّى سنةَ ٥٠٥هـ/١١١١م) طُبِعَ الكتابُ لأَوّلِ مرّةٍ في المطبعةِ الإِعلاميّةِ سـنةَ ١٣٠٢هـ/١٨٨٤م. يُنْظَرُ: «مُعجَمُ المطبوعـاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُـف إليان سَرْكيس: ص١٤١١.

(٧٧) لعلَّ العُنوانَ الصَّحيحَ لهذا الكتابِ هو: «تَبْصِرةُ العوام ومعرفةُ مقالاتِ الأَنام» تأليف: السَّيِّدِ صفيِّ الدِّين أَبي تُرابِ المُرتضى ابنِ الدّاعي ابنِ القاسمِ الحُسينيِّ الرّازيِّ المُلقَّبِ بعَلَمِ الهُـدى. كانَ مُعاصِرًا للإِمامِ الغزاليِّ الّذي تُوفِّيَ سنةَ ٥٠٥هـ/١١١١م، وجرتْ بينَهما مُناظَراتٌ. وَضَعَ المُؤلِّفُ كتابَه باللُّغةِ الفارسيّةِ، وهو في بيانِ المِلَلِ والنِّحَـلِ وتفصيلِ المذاهبِ، ويقعُ في ٢٦ بابًا. وقد طُبِعَ الكتـابُ في إيرانَ سـنةَ ١٣٠٤هـ/١٨٨٦م، ثُمَّ طُبِعَ مرّةً أُخرى سنةَ ١٣١٩هـ/١٩٠١م. تُنْظَرُ: «الذَّريعة إلى تصانيفِ الشِّيْعة»، آقا بُزرك الطَّهرانيُّ: ٣/٣١٨-٣١٩.

(٧٨) وردَ ذِكْـرُ الكتابِ، منسـوبًا إلى مُعَرِّبِـه، في: «الذَّريعة إلى تصانيفِ الشِّيْعة»، آقا بُزرك الطَّهرانيُّ: ٢١/٢٣٩ بعُنوان «مُعرَّبُ تبصرةِ العَوام».

وهي رسالةٌ أدبيّةٌ.

والحاديْ عَشَرَ: "المبدأ والمَعاد" لُلّا صَدْرا[٧٩].

والثّانيْ عَشَرَ: «مِيْزانُ المَنْطِق»[٨٠]، وهو أَحسنُ رسالةٍ في هذا العِلْم.

والثّالثَ عَشَرَ: «معالِمُ الدِّين» للرّازيِّ[٨١] مع شَرْحِه، وهو ضَخْمٌ إلّا أنَّه قد سقطَ من أَوَّلِه وُرَيْقاتٌ.

والرّابعَ عَشَرَ: «صِدقُ الكلام في عِلْمِ الكلام»[٨٢].

وهو كتابٌ جامِعٌ للاختلافاتِ الكَلاميّةِ بعباراتٍ سهلةٍ. وغيرُ ذلك مِمّا لا أَحفظُ أَسماءه. هذا واقبلوا احتراماتي.

جميل صِدْقي الزَّهاويّ

(٤)

حضرةُ العَلّامةِ.

قرأتُ في العددِ الأَخيرِ من مجلَّتِكم الغَرّاءِ اسمَ كتابٍ[٨٣] لمحمَّد حُسين آل كاشفِ الغِطا النَّجَفِيِّ[٨٤]،

---

(٧٩) صَدْرُ الدِّين مُحمَّدٌ بنُ إبراهيمَ الشِّيرازيُّ المشهورُ بالمُلّا صَدْرا (المُتوفَّى سنةَ ١٠٥٠هـ/١٦٤٠م): الفيلسوفُ والمُتصوِّفُ الشَّهيرُ صاحبُ «الأَسفارُ الأَربعةُ في الحِكْمةِ». طُبِعَ كتابُه «المبدأُ والمَعادُ» أَوَّلَ مرّةٍ في إيرانَ سنةَ ١٣١٤هـ/١٨٩٦م. يُنْظَرُ: «مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُف إليان سَرْكيس: ص١١٧٤.

(٨٠) في دارِ المخطوطاتِ العراقيّةِ ببغدادَ نُسْخةٌ خطِّيّةٌ من كتابٍ بالعُنوانِ نفسِه: «ميزانُ المَنْطِق» وهو لعبدِ اللهِ الهَدّاد العُثمانيِّ، رقَمُها ٧٩٥٠. كتبَها سنةَ ١٢٩٠هـ/١٨٧٢هـ ناسخٌ يُعرَفُ بنجيبِ بنِ عبدِ السَّميع. وهي تقعُ في (٢٢صفحة).

(٨١) أوردَ مُصطفى عبدُ اللهِ القُسطنطينيُّ، المعروفُ بكاتب چلبي وبِحاجي خليفة، في كتابِه: «كَشْفِ الظُّنُون عن أَسامي الكُتُبِ والفُنُون»: ٦/٥٥٧- ٥٥٨: كتابَ «المَعالِمُ في أُصُولِ الفِقْهِ» للإمامِ فَخْرِ الدِّينِ الرّازيِّ، أَبي مُحمدِ بنِ العُمرِ بنِ الحُسينِ بنِ حسنِ الشّافعيِّ (المُتوفَّى سنةَ ٦٠٦هـ)، والشُّرُوحَ الكثيرةَ عليه. وفي «مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ»، يُوسُف إليان سَرْكيس: ص٩١٦- ٩١٧: أَنَّ مُختصَرَ كتابِ «معالمُ أُصُولِ الدِّين» للرّازيِّ طُبِعَ في المطبعةِ الحُسينيّةِ سنةَ ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م بهامشِ كتابِه الآخرِ «مُحَصَّلُ أَفكارِ المُتقدِّمينَ والمُتأَخِّرينَ من العُلماءِ والحُكماءِ والمُتكلِّمين». ويُنْظَرُ أَيضًا: «المُعجَمُ الشّاملُ للتُّراثِ العربيِّ المطبوع»، جَمْعُ وإعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة: ٣/٢٢.

(٨٢) وردَ عُنوانُ الكتابِ مَعْزُوًّا إلى مُؤَلِّفِه في: «هديّةُ العارِفين، أَسماءُ المُؤَلِّفينَ وآثارُ المُصنِّفين»، لإسماعيل باشا بنِ مُحمَّد أمين بنِ مِير سليم البابانيِّ البغداديِّ، وكالةُ المعارفِ، إسطنبول، ١٩٥١- ١٩٥٥م: ٢/١٧٠: «كمالُ الدِّينِ مُحمَّدٌ بنُ أَبي مُحمَّد حجّاج بن يُوسُفَ ابنُ عمادِ بن الغازي الأَنْدُكانيُّ... وُلِدَ في المُحرَّم سنةَ ٧٢٦(هـ)، ونشأَ بها، ثُمَّ دارَ البلادَ ونَزَلَ بلادَ العِراقَيْنِ وأَذَرَبِيْجانَ. صَنَّفَ كتابَ: (صِدْقُ الكلام في عِلْمِ الكلام)، في مُجلَّدٍ لطيفٍ، فرغَ منه في رَجَبٍ من سنةَ ٧٧٧(هـ)».

وقد دَرَسَ الكتابَ وحقَّقَه الباحثُ حافظ عاشور حافظ، برسالةٍ للماجستيرِ عُنوانُها: «صِدْقُ الكلام في عِلْمِ الكلام لكمالِ الدِّينِ الأَنْدُكانيِّ (ت ٧٧٧هـ)»، في قِسْمِ الفلسفةِ الإسلاميةِ في كُلِّيّةِ دارِ العُلُومِ بجامعةِ القاهرةِ سنةَ ٢٠٠٤م. وصدرَ الكتابُ بعُنوانِ: «صِدْقُ الكلام في عِلْمِ الكلام»، في طبْعتِه الأُولى عن مكتبةِ الغانمِ للنَّشْرِ والتَّوزيع، عَمّان/الأُردن، سنة ١٤٤٤هـ/٢٠٢٢م.

(٨٣) هو كتابُ: «الدِّينُ والإسلامُ، أَو الدَّعوةُ الإسلاميّةُ» في جُزئِه الأَوَّلِ المطبوعِ على نَفَقَةِ الشَّركةِ العراقيّةِ- طبعةً ثانيةً- في مطبعةِ العِرْفانِ بمدينةِ صَيْدا بلُبنانَ سنةَ ١٣٣٠هـ/١٩١٢م. وعرضَه الكرمليُّ عرْضًا نَقْديًّا من دُونِ توقيعٍ في بابِ: (المُشارفةُ والانتقادُ) من مجلَّتِه (لُغةَ العرب)، في الجُزءِ العاشرِ من سنتِها الثّانية، الصّادرِ في الأَوَّلِ من نَيْسانَ/أَبريل ١٩١٣م: ص٤٦٨- ٤٧٢، وقال في مُستهلِّه: «كتابٌ يدلُّ عُنوانُه على فَحْواه، وهو من قلمِ رجلٍ ينتمي إلى بيتِ علْمٍ رفيعِ العِمادِ، مشهورٍ في النَّجَفِ بينَ الحاضرِ والبادِ»، واشتملَ العرضُ على تِسْعِ فِقْراتٍ تناولتْ بالنَّقْدِ لُغةَ مُؤَلِّفِ الكتابِ وأُسلوبَه ومنهجَه، ثُمَّ ختمَه بقولِه: «وإنَّما عدَّدْنا بعضَ معايبِ هذا السِّفْرِ الخطيرِ عَمَلًا بقولِ المُفكِّرِ الكبيرِ: كفى المَرْءَ نُبْلًا أَنْ تُعَدَّ معايبُه».

(٨٤) الشَّيْخُ مُحمَّد حُسين بنُ الشَّيْخِ علِيِّ بنِ الشَّيْخِ مُحمَّد رِضا بنِ الشَّيْخِ مُوسى بن الشَّيْخِ جعفر كاشفِ الغِطاء

فأحببتُ أَن أَطَّلِعَ على مباحثِه؛ ولذلكَ جئتكم راجيًا أَن تُعيرونـي إيّـاه أَيّامًـا قلائـلَ، وإنِّـي مُعيده إلى حضرتِكم.

ثُمَّ عليكم السَّلامُ أَيُّها الأَبُ الكريمُ.

جميل صِدْقي الزَّهاويُّ

بغداد في ١٨ مارت سنة ١٣٢٩هـ(٨٥)

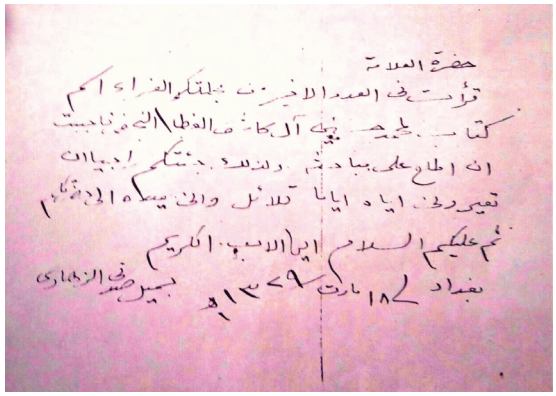

(٥)

حضرةُ الأُستاذِ المُحترمِ:

أَقبلُ مُفتخِرًا أَن أَشـترِكَ مـع إخواني العراقيِّينَ في الطَّلَـبِ إلى فخامـةِ الـسِّر برْسِي كوكـس(٨٦) أَن يُقدِّمَني كعُضْوٍ عامِلٍ للمجمعِ اللُّغويِّ المصريِّ(٨٧).

(١٨٧٧- ١٩٥٤م)، عالِـمٌ مُجْتهِـدٌ من كِبـارِ مراجعِ الحَـوْزةِ العلميّةِ في مدينةِ النَّجَـفِ بالعراقِ، وكانَ من أَبـرزِ الدُّعاةِ إلى الوفاقِ بينَ المُسـلمينَ. وُلِـدَ في النَّجَفِ لأُسرةٍ علميّـةٍ معروفـةٍ، تخـرَّجَ في المبادئِ عـلى كِبارِ الأَعلامِ في عَـصْره، ثُمَّ درسَ الفِقْـهَ والأُصُولَ والرِّوايةَ والمَنْطِـقَ والحِكمةَ. تـرأَس الحَوْزةَ العِلْميّـةَ بالنَّجَفِ وعـادتْ إليه مرجعيّةُ الإفتاءِ، واشـتغلَ في السِّياسـةِ، فصـارَ زعيمًا دينيًّـا عُرفَ في أَنحاءِ العالَمِ الإسـلاميِّ. لـه أَكثرُ من ٥٠ كِتابًا مطبوعًـا، منها: «الآياتُ البَيِّنات في قَمْعِ البِدَعِ والضَّلالات»، و«المُثُلُ العُلْيا في الإسـلامِ»، و«أَصْلُ الشِّـيْعةِ وأُصُولُها»، و«عينُ الميزانِ» رِسالةٌ في الجَـرْحِ والتَّعْديلِ. لـه اهتمامٌ بالأَدبِ والشِّـعرِ، وكانَ مُوْلَعًـا بالرِّحلةِ والتَّثاقُفِ مع أَعـلامِ العصْرِ في البُلدانِ العربيّةِ والإسـلاميّةِ، وله معهم مُحاوراتٌ ومُراسـلاتٌ منشـورةٌ منهـا: «المُراجعـاتُ الرَّيْحانيّةُ» مـع المُفكِّرِ اللُّبنانيِّ أَمينِ الرَّيْحانيِّ. كَتَبَ في أَدَبِ الرِّحلةِ، وسـاهمَ في إحيـاءِ التُّراثِ العربيِّ، فنشرَ كتابَ: «الوسـاطةُ بينَ المُتنبِّـي وخُصُومِـه» للقـاضي الجُرْجانـيِّ، وصَدَرَ في مدينةِ صَيْدا بِلُبنانَ سـنةَ ١٣٣١هـ/١٩١٣م. قَصَدَ إيـرانَ مُسْتشـفيًا، فتُوفِّيَ بها، ودُفِـنَ في النَّجَفِ. تُنْظَرُ ترجمتُه في: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْـنِ الزِّرِكْلِيُّ: ٦/١٠٦- ١٠٧، و«الدَّليـلُ الرَّسـميُّ العراقـيُّ لسـنةِ ١٩٣٦»، محمـود فهمي دَرْويش، محلُّ دَنْكُـوْر للطَّبْعِ والنَّشْرِ، بغـداد، ١٩٣٦م: ص٩٢٥، و«موسـوعةُ أَعلامِ وعُلماءِ العـراقِ»، حميـد المطبعيُّ، مُؤسَّسـةُ الزَّمـانِ الدَّوليّةُ للصِّحافـةِ والنَّـشْرِ والتَّوزيعِ، بغـداد، ط١، ٢٠١١م: ص٧٠٩.

(٨٥) هـذا التّاريـخُ المِدوَّنُ بقلمِ الزَّهـاويِّ جـاءَ بالتَّقويمِ الهجريِّ العُثمانيِّ الشَّمسيِّ أَيضًا، وهو يُوافِقُ بالتَّقويمِ الهجـريِّ القمـريِّ يـومَ ٢٣ ربيع الثّانـي ١٣٣١هـ، وبالتَّقويم الميلاديِّ ٣٠ آذار/مارس ١٩١٣م.

(٨٦) سبقَ التَّعريفُ به في المقدِّمةِ، كما سبقَ الكلامُ- هُناك- على هذه الواقعةِ بتفصيلٍ.

(٨٧) يُشيُر إلى مجْمعٍ لُغويٍّ موؤودٍ، هو (مجمعُ دارِ الكُتُبِ) الّـذي أَنْشِـئَ بالقاهرةِ سـنةَ ١٩١٦م بجُهُـودِ أَحمد لُطْفـي السَّـيِّد (١٨٧٢- ١٩٦٣م) حـينَ كانَ مُديـرًا لدارِ الكُتُـبِ المصريّةِ. قالَ إبراهيـم بيُّومي مَدْكُوْر، في كتابِـه: «مع الخالِدين- مجمعُ اللُّغـةِ العربيّةِ في عيده الخمسـينيِّ»، الهيئةُ العامّةُ لشُـؤونِ المطابعِ الأَميريّةِ، القاهـرة، ١٩٨١م: ص١٠٧، مُتحدِّثًـا عـن إنشـائه، وبيـانِ نِظامِه، ومُهمَّتِـه، وبِدْءِ عملِـه، فنهايتِه: «أَرادَ به أَن يكـونَ أَهليًّا، على غرارِ الأَكاديميّةِ الفرنسـيّةِ في نشأَتِها، واقترحَ أَن يتكوَّنَ من ثمانيةٍ وعشرينَ عُضْوًا، منهم خمسـةٌ وعشرونَ من العـربِ وثلاثةٌ من الفُرْسِ والسُّريـانِ والعِبْرانيِّينَ، وأَن يعقِـدَ في كُلِّ دورةٍ اثنتي عـشرةَ جلْسَـةً عـلى الأَقلِّ، وأَن يشـتملَ عـلى عددٍ من اللِّجانِ. وقد اشتركَ فيه فِعْلًا بعضُ رجالِ اللُّغةِ والعِلْمِ والأَدبِ من المصريِّينَ، أَمثـالِ: عاطِف بركات، وحِفْني ناصف، وإسماعيل عاصِم، ويعقوب صَرُّوف، وحِلْمي عيـسى، وأَمين واصِـف، وأَحمـد الإسـكندريِّ. وتولَّى رئاسـتَه الشَّيْخُ سـليم البِشْريُّ ثُمَّ الشَّـيخُ أَبو الفَضْلِ الجِيْزاويُّ، وكانَ (أَحمد) لُطْفي السَّيِّدُ كاتبَ سِره. عقدَ إحدى عشرةَ جلسةً في دورةِ ١٩١٧- ١٩١٨ وسَبْعًا في الـدَّورةِ التّاليةِ، ولم يلبَثْ أَن ارتطمَ بصَخْرةِ التَّعريبِ، وطَغَتْ عليه ثورةُ سـنةَ ١٩١٩. ثُمَّ حاولَ العَوْدةَ عام ١٩٢٥، ولكنَّـه لـم يعْقِد إلّا جلسـةً واحـدةً». وتُنظَرُ

وســتُطوِّقُني وساطتُكم فضْلًا أَشــكره أَيُّها الأُستاذُ الكريمُ.

جميل الزَّهاويُّ

في ٩ أَيلول سنة ١٩١٧

(٦)

حضرةُ الأُستاذِ العَلّامةِ.

عَفْوُكَ سَــيِّدي! فإِنِّــي رجعتُ قُبَيْــلَ كتابةِ هذه السُّــطُورِ إِلى الــدّارِ، وإِذا بعائلتي تُخبرُنــي قائلةً: «جــاءَ الخادِمُ من أَجلِ (المُقتَطَــف)[٨٨]، وإِذ لم أَدرِ

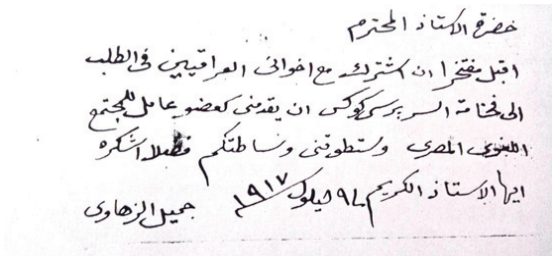
حضرة الأستاذ المحترم
اقبل فتخارا ان اشترك مع اخواني العراقيين في الطلب
الى فخامة السفير كوكس ان يقدمني كعضو عامل للمجتمع
العلمي المصري وستطوقني وساطتكم فضلا اشكره
ايا الاستاذ الكريم ٩ ايلول ١٩١٧ جميل الزهاوي

أَنَّــكَ أَتْمَمْــتَ مُطالعتَه، صرفتُه من دُونِ أَن أُســلِّمَه إِيّاه». فأَســفتُ عــلى إِرجاعِه[٨٩] من دُوْنِ تســليمِه الكتابَ. وها أَنا ذا أُقدِّمُــه إِلى حضرتِكم صُحْبةَ مَن أَعتمدُ عليه، شاكِرًا لفضلِكم العميمِ.

جميل الزَّهاويُّ

في ٤ تشرينَ الأَوَّلِ سنةَ ١٩١٧

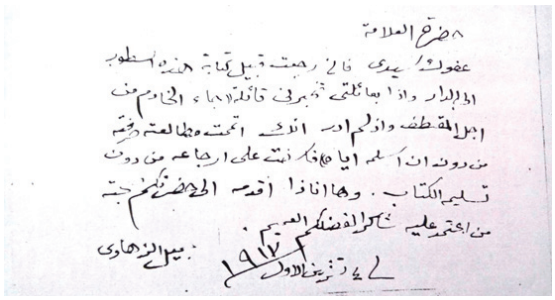
حضرة العلامة
عفوك سيدي فاني رجعت قبيل كتابة هذه السطور
الى الدار واذا بعائلتي تخبرني قائلة ان الخادم من
المقتطف واظنهم اعني انك اتممت مطالعته وتمنى
من دون ان اسلمه اياه فاسفت على ارجاعه من دون
تسليم الكتاب. وها انا ذا اقدمه الى حضرتكم حتى
من اعتمد عليه شاكرا لفضلكم العميم.
جميل الزهاوي
٤ تشرين الاول ١٩١٧

كذلك ص٢٢ من الكتاب.

(٨٨) المقتَطَفُ: مجلَّةٌ شهريّةٌ أَدبيّةٌ عِلْميّةٌ، أَنشأَها في بيروتَ ســنةَ ١٨٧٦م يعقوب صَرُّوف وفارس نمر، ثُمَّ نقلاها إِلى القاهرةِ ســنةَ ١٨٨٥م؛ بسببِ مُضايقاتِ الحُكومةِ العُثمانيّــةِ. وفي ســنةِ ١٨٨٨م اســتقلَّ بها مُؤسِّسُــها ورئيــسُ تحريرِها يعقــوب صَرُّوف، وظلَّ يُواظِبُ على إِدارةِ تحريرهــا وتطويرِها حتَّى تُوفِّيَ ســنةَ ١٩٢٧م، فواصــلَ مُهمَّتَه ابنُ أَخيه فُؤاد صَرُّوف، واســتمرَّ على إِصدارِهــا بانتظــامٍ إِلى نهايــةِ ســنةِ ١٩٥٢م. وكانت مجلَّةً جامِعةً تُعنى بإِشاعةِ العلمِ الحديثِ مع اهتمامِها بشُــؤون الفِكْــرِ والثَّقافــةِ والأَدبِ العربــيِّ فضْلًا عن الغربــيِّ، وتخرَّجَ فيها كثيرٌ من الأُدباءِ والعُلماءِ. تُنْظَرُ «الموســوعةُ العربيّةُ المُيَسَّرةُ»: تأليفُ لَجْنةٍ من العُلماءِ والباحثينَ العربِ، بإِشرافِ مُحمَّد شــفيق غربال، دارُ القلمِ ومُؤسَّســةُ فرانكلين للطِّباعــةِ والنَّشْرِ، (ب. ت): ص١٧٣٠. وكانَ الزَّهــاويُّ (وكذلــكَ الكرمــليُّ) مــن كُتّابِهــا البارزينَ، ونشرَ فيها بعضَ دراســاتِه العلميّةِ ومقالاتِه الأَدبيةِ وقصائده، وقد أَحصيتُ مقدارَ ما نُشرَ له فيها (ولم يكن فيها اســمُه ثابتًــا بصيغةٍ واحدةٍ)، فوجدتُ مجموعَه خمسَ عشرةَ مادّةً بينَ ســنةِ ١٨٩٦ و١٩٢٧م، منهــا ثلاثُ قصائد. وكانــتِ المجلَّةُ لا تنشرُ من القصائدِ إِلّا القليلَ، ولولا ذلكَ لزادَ عددُ منشــوراتِه فيهــا، كمــا هي حالُه مــع مجلّاتٍ قاهريّةٍ شــهيرةٍ كــ(الهــلال) الّتي نشرَ فيها ٢٤ مــرّةً إِحداها بعد وفاتِه، و(الرِّسالة) الّتي نشرَ فيها ٣٥ مرّةً.

وفي ذكــرى اليوبيــلِ الذَّهبــيِّ بمُــرُورِ خمســين عامًــا على صُــدُورِ (المُقتطــف)، أَصــدرتِ المجلَّةُ كتابًــا بُعنوان: «الكتابُ الذَّهَبيُّ ليوبيلِ المُقتطفِ الخمســينيِّ ١٨٧٦-١٩٢٦م»، طُبِــعَ في مطبعةِ المُقتَطَــفِ والمُقَطَّم بمصرَ ســنةَ ١٩٢٦م، ووثَّقَ وقائعَ الحَفْلِ الكبيرِ بالمُناســبةِ، واحتــوى عــلى الكلمــاتِ والقصائــدِ والبرقيّــاتِ الّتي تُلِيَتْ في الحَفْــلِ أَو تلقَّتْها لَجْنَتُــه المُنظِّمةُ، ومن بينِها قصيدةٌ للزَّهاويِّ (ص٢٠١- ٢٠٢) عُنوانُها: «أُستاذي الدّكتور يعقوب صَرُّوف»، قالَ في مطلعِها:

تقدَّمَ القَوْمُ شوْطًا بعدَمــــا وَقَفُوا وفـــــــي
تقدُّمِهم هذا لَــــكَ الشَّرَفُ
تَقَدُّمًا لكَ فـــــي تحقيــــقِ رغبــــتِه يدٌ بها الشَّرْقُ،
كُلُّ الشَّرْقِ، يعترِفُ

بينما نُشِرتْ للكرمليِّ فيه- باسمٍ مُستعارٍ هو فِهْرُ الجابريُّ- دراســةٌ (ص١٢٩- ١٤٠) عُنوانُهــا: «المُقتَطَــفُ في العراق»، تتبَّعَ فيه ما وصفَه بالأَثر العظيمِ لهذه المجلَّةِ في البلادِ مُنذُ أَوَّلِ ظُهورِها سنةَ ١٨٧٦م. وقد أَحصيتُ مــا نــشره الكرمليُّ في هــذه المجلَّــةِ (باســمِه الصَّريحِ وبأَسمائِه المُستعارةِ) بينَ سنةِ ١٩٠٠ و١٩٤٦م، فبلغَ ٧٠ مقالةً.

(٨٩) أَي: إِرجاعَ الخادِمِ.

(٧)

في ١٨ تشرينَ الثاني سنةَ ١٩٢٨

حضرةُ الأُستاذِ العَلّامةِ.

أَنْعَمْتُ النَّظَرَ في البيتَيْنِ، وكانَ من الصَّعبِ أَن أَفْهمَ ما يقصده الشّاعِرُ؛ لأَنَّكَ لم تُفْهِمْني أَنّه في أَيِّ مَعْرِضٍ قالَهما، ولا ذكرتَ ما تقدَّمَهما وما تأَخَّرَ من الأَبياتِ. فلم أَعرفْ مرجعَ الضَّميرِ في قولِه: «كأَنَّ له في ذُروةِ القَوْمِ مَنْصِبُ»[٩٠].

وعسى أَن يكونَ «مَنْصِبُ» خطأً، والصَّوابُ: «مَنْصِبًا» على أَن يكونَ اسمًا لـ «كأَنَّ».

ويلوحُ لي- وقد أَكونُ مُخطِئًا- أَنَّ الشّاعِرَ في البيتِ الأَوَّلِ يُكْبِرُ منزلةَ الموصوفِ، وهو مرجعُ الضَّميرِ في «كأَنَّ له»، بتشبيهِه بمَنْ عَضَّهُ «الفِرا» (وهو حِمارُ الوَحْشِ) في المَشاعِبِ، وهيَ الطُّرُقُ، كما يقعُ لمُتشرِّدي أَهلِ الباديةِ. وأَنَّه في البيتِ يصفُ جَبَلًا وَعْرًا بأَنَّ حواميَها (يَعْني صُخُورَها) صُمَّ، وأَنَّ النُّسُورَ الواقعةَ عليها تُشْبِهُ- إذا نَظَرَ إليها الإنسانُ من بُعْدٍ- نِقْسِ مصرَ، وهو المِدادُ أَو الكتابةُ المُنبئةُ عن أَميرٍ يُحْجَبُ تحتَها لِدفنِه. فإِنَّ الغالِبَ أَن يكونَ تحتَ كُلِّ كِتابةٍ في الصُّخورِ مَدْفنٌ لملكٍ من مُلُوكِها الأَقدمينَ. وقد حَذِفَتْ كلمةُ «تُنبئُ» لدلالةِ السِّياقِ عليها. قالَ المَرّارُ[٩١]:

عَفَتِ المَنازِلُ غيرَ مِثلِ الأَنقُسِ

بَعدَ الزَّمانِ عَرَفتُهُ بِالقَرطَسِ[٩٢]

فقد أَرادَ بـ (الأَنقُسِ) جَمْعَ (نَقْسَ) وهو الكتابةُ، وبـ (القَرطَسِ) القُرطاسَ. هذا ما يلوح لي فَوْرًا، على أَنّي غيرُ مُطمئنٍّ، ورُبَّما بانَ لي غيرُ هذا لو وقفتُ على ما قبلَ كُلِّ بَيْتٍ منهما وما بعده. وقد كتبتُ رسالةً قصيرةً إلى صديقِنا الشّاعِرِ العصريِّ أَبو شادي[٩٣] فأَرجو إيصالَها إليه في طَيِّ ما تكتبونَه. وسوفُ أَزورُكم عندَ خُرُوجِكم من الصَّوْمِ عن الكلامِ. سيِّدي.

جميل الزهاوي

---

(٩٠) صَدْرُ بَيْتٍ من الطَّويلِ، وهو لسُراقةَ البارِقيِّ- وهو من شُعراءِ صَدْرِ الإسلامِ والعصْرِ الأُمويِّ- في ديوانِه (ص٨٧). ويُروى في الدِّيوان على النّحْوِ الآتي، الّذي يُخالفُ أَوَّلُه (كان) ما وردَ في قراءةِ الزَّهاويِّ في الرّسالةِ (كأَنَّ)، لينتفيَ بهذه الرِّوايةِ الإشكالُ النَّحْويُّ الّذي يُشيرُ إليه:

وكانَ لهُ في ذُرْوَةِ الحيِّ مَنْصِبٌ وليسَ كَمَنْ عَضَّ الفِرا بالمَشاعِبِ

وجاءَ في شرْحِ مُحقِّقِ الدِّيوانِ لمُفرداتِ البَيْتِ ومعناه، قولُه: «الفِرا: مقصورُ الفِراءِ، جَمْعُ فَرْوةٍ. والمَشاعِبُ: الطُّرُقُ، جَمْعُ مِشْعَبٍ. يقولُ: إنَّ له أَعلى الدَّرجاتِ في قبيلتِه، فلا يُشْبِهُ العُمَّالَ أَو الصُّنّاعَ الّذين يفرونَ الجُلُودَ في الطُّرُقِ. وكُلُّنا يعرفُ أَنَّ العربَ كانوا يترفَّعونَ عن العملِ في الصِّناعاتِ». «ديوانُ سُراقةَ البارقيِّ»، حقَّقَه وشرَحَه: حُسين نَصّار، لَجْنةُ التّأليفِ والتَّرجمةِ والنَّشْرِ، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م: ص٨٧.

(٩١) أَبو حَسّان المرّارُ بنُ سعيدٍ بن حبيبٍ الفَقْعَسِّي، شاعرٌ من العصْرِ الأُمويِّ. لا يُعرفُ تاريخُ مَوْلِده ولا وفاتِه. كانَ مُفْرِطَ القِصَرِ ضئيلًا. له شِعرٌ كثيرٌ. يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْلِيُّ: ٧/ ١٩٩- ٢٠٠. جَمَعَ المُتبقِّيَ من شِعره د. نوري حَمُّودي القَيْسِيُّ ونشره في مجلَّةِ (المورد) البغداديةِ في الجُزءِ الثّاني من المُجلَّدِ الثّاني، الصّادرِ سنةَ ١٩٧٣م: ص١٥٥- ١٨٤، بعُنوانِ: «المَرّارُ بنُ سعيدٍ الفَقْعَسِيُّ، حياتُه وما بقيَ من شِعره». وذكرَ في مُقدِّمته (ص١٥٧) أَنَّ ابنَ منظورٍ استشهدَ بشعره في أَكثرَ من سبعينَ موضِعًا، في مُعجمِه: «لِسانُ العرب».

(٩٢) من الكامل، يُنْظَرُ: « المرّارُ بنُ سعيدٍ الفَقْعَسِّي، حياتُه وما بقيَ من شِعره»، صنعةُ د. نوري حَمُّودي القَيْسيِّ: ص١٦٧.

(٩٣) أَحمد زكي بنُ مُحمَّدٍ بن مُصطفى أَبو شادي (١٨٩٢- ١٩٥٥ م): طبيبٌ، أَديبٌ، شاعِرٌ له نَظْمٌ كثيرٌ. وُلِدَ في القاهرةِ وتعلَّمَ بها وبجامعةِ لندنَ. عملَ في وزارةِ الصِّحّةِ فتدرَّجَ في وظائفها حتّى كانَ وكيلًا لكُلِّيّة الطِّبِّ بجامعةِ القاهرةِ. وأَنشأَ بالقاهرةِ مجلَّةَ: «أَدبي»، ومجلَّةَ «أُبولُّو» وهي ذاتُ أَثرٍ في تطوُّرِ الشِّعرِ العربيِّ. وأَخرجَ عددًا من الدّواوينِ، منها: «الشَّفَقُ الباكي» و«أَطيافُ الرَّبيعِ» و«أَنينٌ ورنينٌ». ونَظَمَ قِصصًا تمثيليّةً، وله مُؤلَّفاتٌ أُخرى كثيرةٌ في حُقُولٍ مُتنوِّعةٍ. يُنْظَرُ: «الأَعلامُ»، خيرُ الدِّيْنِ الزِّرِكْلِيُّ: ١/ ١٢٧.

(٨)

حضرةُ الأُستاذِ العَلّامةِ[٩٤].

أُريـدُ الأَعدادَ[٩٥] الّتـي كَتَبَتْ عـن (اللُّباب)[٩٦]،

وكانَ عندي الثّامنُ من السَّـنةِ السّادسةِ، ووصلَني التّاسِـعُ بواسطةِ الأُسـتاذِ الصَّرّافِ[٩٧]. أَمّا السّابِعُ

(٩٤) لـم يُـؤرِّخِ الزَّهـاويُّ هـذه الرِّسـالةَ، ودوَّنَ الكرمليُّ تاريخَها في أَسفلِها: «في ١٤/١/٢٩».

(٩٥) يقصدُ أَعدادَ مجلَّةِ (لُغة العرب).

(٩٦) «اللُّبـابُ»: ديـوانٌ للزَّهـاويِّ طُبِـعَ ببغـدادَ في مطبعةِ الفُراتِ، يقـعُ في ٣٩٨ صفحةً بقَطْعِ الثُّمْنِ. وأَثبتَ الشّـاعِرُ هذه العباراتِ التَّعريفيَّةَ على غلافِه: «وهـو المُختارُ ممّـا قَرَضَه جميل صِدْقـي الزَّهاويُّ من الشِّـعرِ في أَدوارِ حياتِه. طُبِعَ يوم ٨ نَيْسانَ سنةَ ١٩٢٨م». وقـد صدَّرَه بمُقدِّمةٍ مـن أَربعِ صفحاتٍ عُنوانُهـا «كلمـةٌ في الشِّـعر» مُؤرَّخـةٍ في يـومِ ٢٠ شُـباطَ/فبراير ١٩٢٨م، ضَمَّنَهـا نظراتِه وآراءَه في الشِّـعرِ. وتبيَّنَ لي أَنَّ الكرمليَّ كانَ هـو مَن طلبَ إلى الزَّهاويِّ- حينما كانَ الأَخيرُ مُنهمِكًا في طَبْعِ ديوانِه «اللُّباب»- كتابـةَ هذه الكلمةِ لتُنـشَرَ في مجلَّةِ (لُغة العـرب)، فنُشِرتْ فِعْـلًا في الجُزءِ الثّانـي من المُجلَّدِ السّـادسِ، الصّادرِ في شهرِ شُباطَ/فبراير ١٩٢٨م: ص١١٧- ١٢٠، قبـلَ صُـدُورِ ذلك الدِّيـوانِ، وقدَّمَ لها الكرمليُّ بهذه العباراتِ: «أَخذَ الأُسـتاذُ الشّـاعرُ العَصْريُّ جميل صِدْقـي الزَّهاويُّ في طَبْعِ (اللُّباب)، وهو مُختارُ أَشـعاره. وقد طلبْنا إليه أَن يَذكرَ لنا ما يرتئيه في الشِّـعرِ بعدَ أَن قَرَضَه سـنينَ مديدةً، وقد علَّمَـه الاختبارُ ما لا يَعْلَمُه غـيره، كما طلبْنا إليه أَن يُبيِّنَ لنا ما يُريـدُ أَن يُدوِّنَه في ديوانِه الجديدِ، فكتبَ إلينا هـذه السُّـطُورَ الّتي تُخلِّـدُ له الذِّكْـرَ الطَّيِّبَ، وتُبيِّنُ للقومِ مزايا الشِّـعرِ العربيِّ الصَّميمِ العصريِّ الحقيقيِّ». وممّا جاءَ في تلكَ المُقدِّمةِ قولُ الزَّهاويِّ، وواضـحٌ في أَوَّلِها أَثـرُ حُكْمِ عبّاس محمـود العَقّادِ فيـه: «وقـد كثُرَ اللَّغَـطُ في مصرَ وسُـوريّةَ والعراقِ حولي، فمِن قائلٍ إِنَّه لا فيلسـوفٌ ولا شـاعرٌ، بل هو عالِـمٌ يُحكِّـمُ العَقْلَ والمَنْطِقَ فيما يكتبُـه أَو يَنْظِمُه؛ وقائلٍ إِنَّه شـاعرٌ لا فيلسـوفٌ؛ وقائلٍ إِنَّه فيلسـوفٌ لا شـاعرٌ؛ ومُحبٍّ يقولُ إِنَّه فيلسـوفٌ وعالِمٌ وشاعرٌ معًـا؛ وحاقِدٍ يُقْسِـمُ بأَحرجِ الأَيْمانِ أَنَّـه لا عالِمٌ ولا فيلسـوفٌ ولا شـاعِرٌ. ومِنَ الّذين عَدُّوني شاعرًا مَنْ يذهـبُ إلى أَنِّي مُتطرِّفٌ في التَّجديـدِ، ومنه مَن يرى أَنِّي مُقلِّـدٌ للرَّثِّ البالي من القديـمِ. أَمّا أَنا فلا أَدَّعي أَنِّـي شيءٌ ممّـا اختلفوا فيه. وإِنَّمـا لي آراءٌ في الكوْنِ والحياةِ والاجتماعِ قـد أَذعتُها، وكَلِمٌ موزونةٌ هي في الغالبِ من بناتِ شُـعُوري قد نشرتُهـا، وللنّاسِ أَن لا يعـدُّوا تلكَ الآراءَ من العلمِ والفلسـفةِ، وتلكَ الكَلِمَ من الشِّـعرِ، أَو لا يعدّو ذلكَ الشِّعرَ من الجديدِ. فأَنا لم أَقُلْ شِـعري إِلّا لنفسي، فحسبُ شِعْري أَن ترضى عنـه نَفْسي، ونَفْسي راضيةٌ عنه، فلا يهمُّني بعد ذلكَ أَن يرضى عنه مَن لا صلةَ بين شُـعُوره وشُـعُوري». ثُمَّ ذكرَ أَنَّه رتَّبَ الدِّيوانَ على خمسـةِ أَقسامٍ بحسبِ أَزمانِـه، وهي: الأَوَّلُ ما قالَ أَكثره بعد سـفَرِه الأَوَّلِ إلى عاصمةِ الدَّولةِ العُثمانيّةِ سـنةَ ١٨٩٦م، والثّاني ما قالَه بعد إِصدارِ الدُّستورِ العُثمانيِّ سنةَ ١٩٠٨م، والثّالـثُ مـا قالَه بعـدَ الاحتـلالِ البريطانيِّ سـنةَ ١٩١٧م، ومن هذا القِسْـمِ رباعيّاتُـه الّتي نُشِرَتْ في بـيروتَ. والرّابعُ ما قالَه بعدَ سـفَرِه إلى مصرَ سـنةَ ١٩٢٤م. وأَكثـرُ الخامـسِ مـا قالَه بعـدَ عودتِه إلى بغدادَ حتّى صُدُورِ الدِّيوانِ.

(٩٧) هـو الأَديب والمُترجِـمُ والحُقوقـيُّ أَحمد حامد الـصَّرّافُ (المولـودُ بمدينـةِ كربلاءَ سـنةَ ١٩٠٠م، والمُتوفَّى ببغـدادَ يومَ ١٨ شُـباط/فبراير ١٩٨٥م). كانَ مـن مُلازمـي الزَّهـاويِّ ويُعدُّ راويةً لِشـعره، ووضعَ عنه كتابًا لا يزالُ مخطوطًا كمُعظمِ مُؤلَّفاته. كما ربطتْهُ صِلاتٌ طيِّبـةٌ بالكرمليِّ، ونشرَ في مجلَّتِه (لُغة العرب) ثماني مقالاتٍ في توثيقِ التُّراثِ الشّعبيِّ

والعاشِرُ فليسَ فيهما شيءٌ عن اللُّباب فأَرجعتُهما، راجيًا أَنْ تُرسِلوا عِوضَهما السّادسَ والحاديَ عشرَ والثّانيَ عشرَ، إنْ كانَ في هذه الأَعدادِ شيءٌ عن اللُّباب. والسَّلام.

الزَّهاويُّ

(٩)

الأُستاذُ العَلّامةُ.

أَرجو أَن تُرسِلوا بالبريدِ، كالعادةِ، نُسْخةً من (اللُّباب) وأُخرى من ترجمةِ رُباعيّاتِ الخَيّامِ[٩٨] إلى ((الأُستاذ زكن شخاشيري[٩٩] المحترمِ في الجامعةِ الأَميركيّةِ ببيروتَ))، وقد أَرسلتُ أُجْرةَ البريدِ رُبِّيَّةً بيدِ حاملِ كتابي ((نوري))، فأَكونُ لحضرتِكم من الشّاكرينَ.

جميلُ الزَّهاويُّ

في ٢٧ شُباط سنةَ ١٩٢٩

العراقيِّ سنةَ ١٩٢٧ و١٩٢٨م، كانت موضوعًا لمُحاضرةٍ أَلقيتُها في (دار سُوسةَ للثَّقافةِ) ببغدادَ مساءَ السَّبتِ ٢٥ تشرينَ الأَوَّلِ/اكتوبر ٢٠٢٥م، ثُمَّ حوَّلتُها إلى دراسةٍ مُوسَّعةٍ دُفعتْ للنَّشْرِ في مجلَّةِ (التُّراث الشَّعبيّ) الغرّاءِ.

(٩٨) صدرَ الكتابُ بعُنوان «رُباعيّاتُ الخَيّام» ترجمَها عن الفارسيّةِ نَثْرًا ونظْمًا جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، ودُوِّنَ تاريخُ طبْعِ الكتابِ على الغلافِ بهذه العِبارةِ: «طُبِعتْ في ٢٢ مايس سنةَ ١٩٢٨ بمطبعةِ الفُرات، بغداد»، وشهر (مايس) هو نفسُه شهرُ أَيّار/مايو. وهو يقعُ في (٧٢ص). اختارَ الزَّهاويُّ ١٣٠ رُباعيّةً من رُباعيّاتِ الخَيّام وترجمَها من الفارسيّةِ إلى العربيّةِ نَثْرًا ونَظْمًا، ونشرَها سنةَ ١٩٢٨م مُنجَّمةً في أَعدادٍ من المُجلَّدِ الثّاني من مجلَّةِ (الحديث) الصّادرةِ بمدينةِ حَلَبَ السُّوريّةِ، قبل أَن يطبعَها في كتابٍ مُستقلٍّ. وقسَّمَها إلى ثمانيةِ أَقسامٍ ضمَّتْ أَعدادًا مُتفاوتةً من الرُّباعيّاتِ، هي: في الخَمْرةِ، في الكُوْزِ، في التَّدَمُّرِ، في العِظَةِ والأَخلاق، في الحِكْمةِ والشَّكِّ، في العِشْقِ، فيما خاطبَ بهِ اللهَ، في مطالِبَ شَتَّى. ودوَّنَ الزَّهاويُّ في آخر الرُّباعيّاتِ تاريخَ اكتمالِ ترجمتِها ونَظْمِها: «بغدادُ في ٢٥ كانون الثّاني ١٩٢٥». وفي الرُّبْعِ الأَخيرِ من سنةِ ١٩٢٨م أَعادتْ مجلَّةُ (العُصُور) القاهريّةُ نشْرَ المنظومِ من هذه الرُّباعيّاتِ مُتسلسلةً في أَربعةِ أَعدادٍ.

والخَيَّامُ (المُتوفَّى سنةَ ٥١٥هـ/١١٢١م)، هو أَبو الفتْحِ عُمَرُ بنُ إبراهيمَ النَّيْسابوريُّ، شاعرٌ، عالِمٌ بالرّياضيّاتِ والفَلَكِ، من أَهلِ نَيْسابورَ، مَوْلِدًا ووفاةً. له مُؤلَّفاتٌ بالفارسيّةِ والعربيّةِ، ترجمَ لهُ خيرُ الدِّينِ الزِّرِكْليُّ في كتابِه «الأَعلامُ»: ٥/٣٧- ٣٩، وقال عن ترجماتِ رُباعيّاتِه إلى العربيّةِ: «واستفدتُ كثيرًا من ترجمتِها النَّثْريّةِ لجميل صِدْقي الزَّهاويِّ، فإنَّه التزمَ بها النَّقْلَ الحَرْفيَّ عن الفارسيّةِ مُباشرةً، ثُمَّ نَظَمَها كغيرِه بشيءٍ من التَّصَرُّفِ». وقد حَظِيَتْ رُباعيّاتُ الخَيّامِ بشُهرةٍ عالميّةٍ، وتُرجمَها إلى العربيّةِ- أَو نَظَمَها عن ترجمةٍ نثريّةٍ- كِبارُ الأُدباءِ والمُترجمينَ العربِ طَوالَ عُقُودِ القرنِ العشرينَ، وكانَ اللُّبنانيُّ وديعُ البُستانيُّ أَوَّلَهم حينَ أَصدرَ ترجمتَه في كتابٍ صدرَ ببيروتَ سنةَ ١٩١٢م، مُعتمِدًا ترجمةً باللُّغةِ الإنكليزيّةِ.

(٩٩) زكن شخاشيري: هو ابنُ صديقِ الكرمليِّ المقرَّبِ بالقاهرةِ: الدّكتور اندراوس حنّا شخاشيري الطَّبيبِ والجرّاحِ اللُّبنانيِّ المشهور (المولودِ سنة ١٨٧٦م)، الّذي أَقامَ بمصرَ مُنذُ سنةِ ١٩١٢م، وكانت له تآليفُ ومقالاتٌ في كُبرى الدَّوريّات العربيّة، وجُهُودٌ معرفيّةٌ في تثقيفِ المُجتمعِ بالصِّحةِ العامّةِ. وربطتْه صِلاتٌ طيّبةٌ بأَبرزِ الشَّخصيّاتِ الأَدبيّةِ في مصرَ والعالمِ العربيِّ، وأُرجّحُ أَنَّه تعرَّفَ إلى الزَّهاويِّ لمّا سافرَ إلى القاهرةِ سنةَ ١٩٢٤م بوصْفِه صديقًا حميمًا للكرمليِّ، فعرفَ هناكَ نجْلَه زكن شخاشيري الّذي لم أَقفْ له على ترجمةٍ، ومن الجليِّ أَنَه سارَ على نهْجِ والدِه، فقد درسَ الطِّبَّ في الجامعةِ الأَميركيّةِ ببيروتَ، ثُمَّ درَّسَ فيها، حينَ بعثَ له الزَّهاويُّ هديَّتَيْهِ. وفي بَحْثي عن محطّاتِ حياتِه، وجدتُ أَنَّه عُيِّنَ أُستاذًا في جامعةِ هارفارد الأَميركيّةِ، فغادرَ بيروتَ مُلْتَحِقًا مع زوجتِه بعملِه الجديدِ نهايةَ سنةِ ١٩٥٧م. تُنْظَرُ: (زاويةُ الأَخبار) في مجلَّةِ (النُّور) البيروتيّةِ بعددِها لشهرِ تشرينَ الثّاني/نوفمبر ١٩٥٧م. و يُنْظَرُ في سيرةِ والده: الهامشُ٢ بالعَمودِ الأَيمنِ من الصَّفحةِ ١٨٥ من: «الرَّسائلُ المُتبادلَةُ بينَ شَيْخِ العُرُوبةِ أَحمد زكي باشا والأَبِ أَنسْتاس ماري الكرمليِّ»، تحقيق: حِكْمت رَحْماني، مجلَّةُ (المَورد) البغداديّةُ: العددُ الثّاني من المُجلَّدِ السّادسِ، ١٩٧٧م.

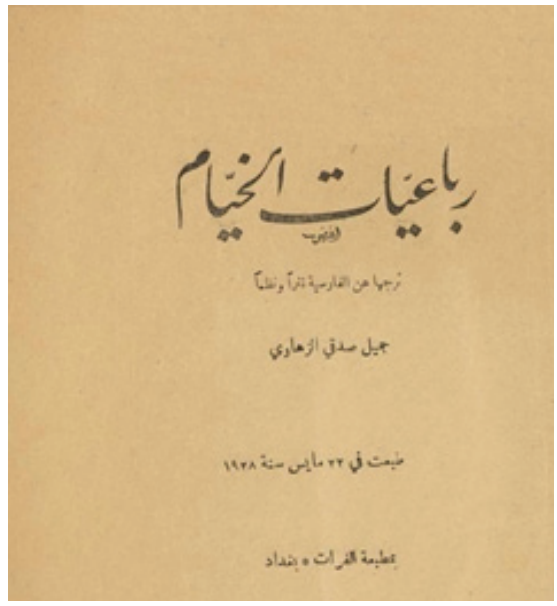

(١٠)

حضرةُ الأُستاذِ العَلّامةِ.

وَصَلَنـي كتابُكم الكريمُ مع خمْـسِ رُبِّيّاتِ ورقٍ. أَمّا (اللُّبابُ) فتُباعُ النُّسْخةُ منه في أَسواقِ بغدادَ بثلاثِ رُبِّيّـاتٍ. وأَمّـا الرُّباعيّاتُ[١٠٠] فالنُّسْـخةُ منـه برُبِّيَّةٍ، والصّافي لي من كُلِّ نُسْـخةٍ من (اللُّبـاب) ثلاثُ رُبِّيّاتٍ إِلّا رُبـع[١٠١]. ومن الرُّباعيّاتِ رُبِّيَّةٌ إِلاّ رُبْع[١٠٢]. فقيمةُ الأَربعِ نُسَخٍ الصّافيةُ هي سَبْعُ رُبِّيّاتٍ. وعلى هذا يبقى لي من قيمةِ المجموعِ رُبِّيّتانِ، وقد أَرسلتُ إِليكم النُّسَخَ الأَربعَ، فأَرسِلوا إِليَّ بقيَّةَ الثَّمنِ. واقبلوا احتراماتي.

جميلُ الزَّهاويُّ

في ١٨ أَيّار سنةَ ١٩٢٩

---

(١٠٠) قـد يُريدُ بهـا ترجمتَه لـــ: «رُباعيّـاتُ الخَيّام»، أَو كتابَـه الشِّـعريَّ: «رُباعيّـاتُ الزَّهـاويِّ». ومعَ أَنَّ «رُباعيّـاتُ الخَيّام» هي الأَقربُ نشْرًا، لكنَّه قد سـمَّاها باسـمِها الكاملِ في الرِّسالةِ التّاليةِ. وعلى كُلِّ حالٍ، فإِنَّ كتابَ: «رُباعيّاتُ الزَّهاويِّ» طُبِعَ بيروتَ سنةَ ١٩٢٤م، في مطبعـةِ القاموسِ العـامِّ لصاحبتِها م. حـدّاد أَبي راشـد، وأُدرجتْ تحتَ عُنوانِـه في الغِلافِ هذه العِبارةُ التَّعريفيّةُ: «وهي الجُزءُ الثّالثُ من مُختاراتِ ما نظمَه الأُسـتاذُ الحكيمُ جميل صِدْقي الزَّهاويُّ». وتحتَ هذا التَّعريفُ أُدرجتْ هذه العِبارةُ: «طبعتْها بيروتُ تذكارًا لمُرُورِ الشّـاعرِ بها وقدَّمتْها له تقديرًا لفضْلِه». وصدَّرَ الزَّهاويُّ كلمةَ الإِهداءِ المُؤرَّخةِ في ١٤ أَيّار/مايو سـنة ١٩٢٤م، ببيتٍ شعريٍّ، على هذا النَّحْو:

«يا شِعرُ إِنَّكَ أَنتَ صوْتُ ضميري يُبْديكَ حُزْني تارةً وسُرُوري

أُهديكَ إِلى أَهلِ بيروتَ أُولي الأَرواحِ الكبيرةِ، شهادةً بما لاقيتُه في مُرُوري بها من حفاوةٍ وتكريمٍ».

وكتـبَ المُـؤرِّخُ والأَديبُ والوجيـهُ اللُّبنانيُّ المعـروفُ مُحمَّد جميل بَيْهُم (١٨٨٧- ١٩٧٨م) تقديمًا طويلًا للكتابِ (جـاء في ١٣ صفحةً) عن ماهيّةِ الشِّـعرِ، والمذاهبِ في تعليلِ جمالِه، وما إِذا كانَ استمداده من القلبِ أَولى أَم مـن العقلِ، مُتناولًا التَّحـوّلاتِ التّي جَرَتْ على أَغراضِه وعلى أَدوارِ الشّـاعرِ العربيِّ في العـصرِ الحديثِ، مُثْنِيًا عـلى الزَّهاويِّ لا لأَنَّه في عِدادِ شُـعراءِ العصرِ الخالدينَ فحسـب، بل لكونِه من الشُّـعراءِ الحُكماءِ المُصلِحينَ، وختمَـه بقولِه: «إِنَّ بيروتَ راقبـتْ جِهادَ الزَّهاويِّ عن كَثَـبٍ، وتألَّمتْ لِمـا قُوبلَ به هذا الشّـاعرُ الحكيمُ من الاضطهادِ والسِّـجنِ والنَّفيِ. فلمّـا زارَها في هذا العامِ هـبَّ فريقٌ مـن فُضلائها، رِجالًا ونسـاءً، فاحتفوا به، وأَقامـوا لـه الحفـلاتِ التَّكريميّـةَ، وأَرادوا أَن يُحيـوا تذكارًا لمُروره في مدينتِهم، فاعتزموا على طَبْعِ رُباعيّاتِه (الّتـي أَهداها لبيروتَ) وقد فعلوا، وما فعلوا إِلّا شـيئًا مـن الواجـبِ؛ لأَنَّ الزَّهاويَّ لم يقصدِ العراقَ فحسـبُ في إِصلاحِـه، وإِنَّما همُّهُ الأُمَّةُ العربيّـةُ كافّةً، ونحنُ في جُمْلتِها. وإِنّي باسـمِ لَجْنةِ النَّشْرِ أَشكرُ للّذينَ ناصروا هذا المشروعَ في بيروتَ وسِـواها، وهم أَهلٌ للفضْلِ، ولا يعـرفُ الفضْلَ إِلّا ذووه». وقـالَ الزَّهاويُّ عن ظُرُوفِ كتابتِـه لهـذه الرُّباعيّاتِ في سـيرتِه الذّاتيّةِ المنشـورةِ بعُنـوان «حياتي» في (مجلّـةِ المجمعِ العلمـيِّ العربيِّ بدمشـقَ)، الجُزءُ الخامسُ من المُجلَّـدِ الثّامنِ، الصّادرُ في أَيّارَ/مايـو ١٩٢٨م: ص٢٩٦: «أَمّا رُباعيّاتي الّتي جعلتُهـا جُـزءًا رابعًـا لديواني العـامِّ فعددُها ١٢٠٠ رباعيّة، وقد نظمتُ أَكثرَ من أَلفٍ منها في سنةِ ١٩٢٢م أَيّامَ نكبتي في شـيخوختي، أَيّامَ أَشكو الحياةَ والعَوَزَ والأَوجـاعَ المُبَرِّحَةِ، أَيّـامَ حُرمتُ من خـيرِ بلادي الّتي خدمتُها بصِدْقٍ أَكثرَ من ثُلُثِ عصرٍ في وقتٍ أَنا في أَشـدِّ الحاجـةِ إِلى ذلكَ الخيرِ، أَيّامَ خُيِّرتُ بـينَ العَوَزِ والعارِ فرجَّحـتُ العَوَزَ على العارِ". وقـالَ في موضعٍ آخرَ من سـيرتِه تلـكَ (ص٢٩٧): "وقـد كانَ مـا لحقني من الأَذى وحِرمانـي من الوظائفِ من الدَّواعي لنَظْمِ هذه الرُّباعيّاتِ، وإِنَّكَ لَتسـمعُ فيها شكاتي صارخةً، وتقرأُ دُمُوعي مكتوبةً، وترى بُؤسي وشقائي مُتمثِّلَيْنِ".

(١٠١) كذا. والصَّـوابُ: « رُبْعًا»، فالمسـتثنى هُنا واجبُ النَّصْبِ: لأَنَّ الاستثناءَ تامٌّ، غيرُ منفيٍّ، مُتَّصِلٌ.

(١٠٢) كذا. والصَّوابُ: « رُبْعًا» كما في الهامشِ السّابقِ.

(١١)

حضرةُ العَلّامةِ الأُستاذِ[١٠٣].

أُرسِلُ إليكم نُسْختَيْنِ من ترجمةِ (رُباعيّاتِ الخَيّامِ) والقصيدتَـيْنِ المُدرجتَيْنِ في عددَيْنِ من جريدةِ (العراق)[١٠٤]، راجيًا أن تُرسِلوا الجميعَ إلى صاحِبِ (الرّائد)[١٠٥]

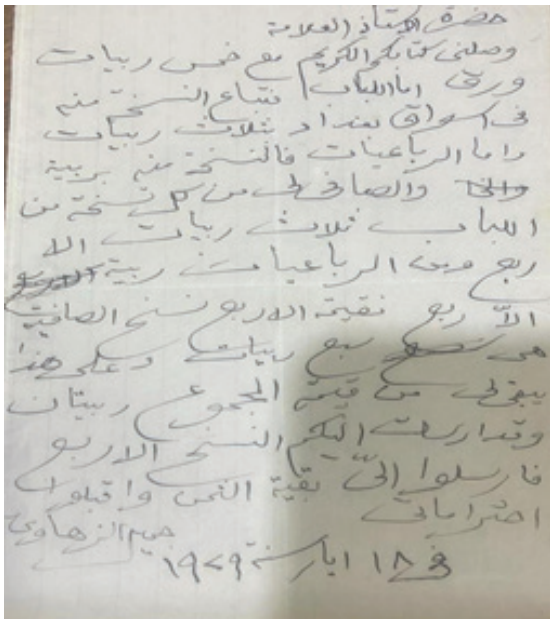

(١٠٣) لم يُؤرِّخِ الزَّهاويُّ هذه الرِّسالةَ، ودَوَّنَ الكرمليُّ تاريخَها في أَسفلِها: «في ١١/٦/٢٩».

(١٠٤) جريدةُ (العراق): جريدةٌ يوميّةٌ سياسيّةٌ أدبيّةٌ اقتصاديّةٌ، أَصدرَها في بغدادَ صاحبُها ومديرُها ورئيسُ تحريرِها الصَّحفيُّ رَزُّوق داود غَنّام (١٨٨٢م- ١٩٦٥م) يومَ ١ حَزِيْران/يونيو ١٩٢٠م بدعمٍ من سُلطةِ الاحتلالِ البريطانيّةِ أَوَّلَ الأَمرِ، لكنَّ صاحبَها حاولَ أَن يُعدِّلَ من سياستِها تدريجيًّا. وهي تُعدُّ من أَطولِ الجرائدِ العراقيةِ عُمرًا.

(١٠٥) هو الصَّحفيُّ والكاتبُ المُهْجَريُّ اللُّبنانيُّ نجيب قسطنطين حدّاد، الموصوفُ بسيرتِه الجدليّةِ الّتي تسبَّبتْ في إنهاءِ حياتِه قتيلًا بالبرازيلِ سنةَ ١٩٣٤م. وُلِدَ في بلدةِ حَمانا (في قضاءِ بعَبْدا في محافظةِ جبلِ لُبنانَ) وتلقّى فيها تعليمَه، ثُمَّ هاجرَ إلى عِدَّةِ بُلدانٍ في إفريقيا وأُوربا حتّى استقرَّ في البرازيلِ، وأَصدرَ هُناكَ مجلَّةَ (المُؤدّب) الأُسبوعيّةَ في مدينةِ سان باولو سنةَ ١٩١٧م، ثُمَّ أَصدرَ في المدينةِ نفسِها بعد عامَيْنِ جريدتَه (الرّائد) الّتي استمرّتْ بالصُّدُورِ نحْوَ عَقْدَيْنِ برغمِ رحيلِه. ولَه كتابٌ عُنوانُه: «على ضِفتي نهرِ الأُردُنّ» المطبوعُ في سان باولو سنةَ ١٩٣٧م، وأَعدَّ كثيرًا من المُؤلَّفاتِ الأَدبيّةِ. جاءتْ نهايتُه مقتولًا إثرَ تورُّطِه في ثلاثِ جرائمِ قتلٍ، هربَ جرّاءها إلى كولومبيا، ثُمَّ عادَ إلى سان باولو لأَسبابٍ غامضةٍ، فسُجنَ فيها، ثُمَّ لاقى مصيرَه على يدِ شقيقِ أَحدِ الضّحايا. تُنْظَرُ سيرتُه في الجُزءِ الأَوَّلِ من: «الموسوعةُ الصَّحفيّةُ العربيّةُ»، حسين عوّادات وياسين شُكر، النّاشرُ: إدارةُ الثَّقافةِ في المُنظَّمةِ العربيّةِ للتّربيةِ والثَّقافةِ والعُلُوم التّابعةِ لجامعةِ الدُّولِ العربيةِ، تُونُس، ١٩٩٠م: ١/٨٨. وجاء فيها: «كانَ صاحبَ اتّجاهٍ خطيرٍ في الصِّحافةِ، هو استخدامُ الصِّحافةِ للابتزازِ، فقد أَصدرَ جريدةَ (المُؤدّب) الأُسبوعيّةَ عامَ ١٩١٧ وكانَ يُكرِّسُها لمُهاجمةِ الشّاعرِ القُرويِّ قَصْدَ ابتزازِه وابتزازِ مُحبِّيه، وكانَ مُغامرًا عنيفًا ذا نَزْعةٍ راسخةٍ في القتْلِ». وتُنْظَرُ كذلكَ الصَّفحتانِ: ٩٦، ١١٤ من الجُزءِ الأَوَّلِ نفسِه وفيهما إشاراتٌ أُخرى عن هذه النَّزْعةِ. وتُنْظَرُ مقالةُ: «الأَدبُ والشَّرُّ، كُتّابٌ قَتَلوا، وشُعراءُ فَتكوا، ومُبدعون أَجرموا»، أبو فخر صقر، جريدةُ (السَّفير) البيروتيّةُ: العددُ ٩٤١٢، الصّادرُ يومَ ٢٠٠٣/١/٣١م. وذكرَ الشّاعرُ رشيد سليم الخُوريُّ في لقاءٍ صحفيٍّ أَنَّ لقبَه (الشّاعرُ القُرويُّ) وردَ أَوَّلَ مرّةٍ على سبيلِ الازدراءِ في مقالةٍ لنجيب قسطنطين حدّاد في مجلّتِه (المُؤدّب)، تناولَ فيها بالنَّقدِ ديوانَه الأَوَّلَ «الرَّشيديّاتُ»، فوجده الخُوريُّ لائقًا به، فاتَّخذه وأَشاعَه. تُنْظَرُ: «أَعمالُ القُرويِّ النَّثْريّةُ»، دارُ الرّائدِ العربيِّ، بيروت، ١٩٨٤م: ص٤٣٧، ووصفَه في هذا الموضعِ بأَنّه «مُجرِمٌ سَفّاحٌ قتلَ أَكثرَ من واحدٍ».

ويبدو أَنَّ نجيب قسطنطين حدّاد كانَ من المُعجبينَ بالزَّهاويِّ شاعِرًا، وفي هذا الصَّددِ جاءَ في رسالةِ الزَّهاويِّ الأُولى إلى الباحثِ المصريِّ أَحمد مُحمَّد عيش المُؤرَّخةِ في ١٦ شُباط/فبراير ١٩٣٣م [الّتي نشرَها ضمنَ رسائلَ أُخرى وردتْهُ منه، بالقسمِ الأَوَّلِ من مقالتِه: «للحقيقةِ والتّاريخِ، رسائلُ الزَّهاويِّ»، في مجلّةِ (الكاتب المصريّ) القاهريّةِ، بعددِها ١٥ من المُجلَّدِ الرّابعِ، من سنتِها الثّانيةِ، الصّادرِ في كانونَ الأَوَّلِ/ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٥٢- ٤٦٩]، قولُه (ص٤٥٥): «وقرأْتُ قبلَ سنواتٍ مقالًا رئيسيًّا في أَكثرَ من صفحةٍ من جريدةِ (الرّائد) الأَميركيّةِ، يُكْبِرُ شأنَ ديواني (اللُّباب)، ويُرجِّحُه على دواوينِ غيري، ويقترحُ على الحُكوماتِ العربيّةِ أَن تُدخِلَ تدريسَه في مناهجِ التَّعليمِ لمدارسِها، وتُعدِّدُ فوائدَ ذلك». وأُشيرُ هُنا إلى أَنَّ البرازيلَ كانت تُعرفُ بأَنَّها مَعْقِلُ أُدباءِ المَهْجَرِ الأَميركيِّ الجَنوبيِّ.

الأغرِّ[١٠٦] في الرُّزْمةِ الصَّغيرةِ المسَوْكَرةِ[١٠٧]. ولكم مِنِّي كُلُّ الشُّكْرِ.

جميلُ الزَّهاويُّ

(١٠٦) كانَ من أثرِ هذا الإهداءِ، أن نشرتْ جريدةُ (الرّائد) العربيّةُ الصّادرةُ في سان باولو بالبرازيل، مقالةً في تقريظِ ديوانِ «اللُّباب» بقلمِ الكاتبِ داود أفندي جرجس الخوريِّ، من أُدباءِ العربِ في المَهْجرِ الجنوبيِّ بأميركا اللّاتينيّةِ. ولمّا وصلَ العددُ إلى الكرمليِّ، أعادَ نشرَها نَقْلًا عن تلكَ الجريدةِ بعُنوانِ: «(اللُّبابُ) في نَظَرِ عربيٍّ مُتأمْرِكٍ»، في الجُزءِ الثّامنِ من المُجلَّدِ السّابعِ من مجلَّةِ (لُغة العرب)، الصّادرِ في شهرِ آبَ/أَغُسْطُس ١٩٢٩م: ص٦٤٣- ٦٤٥. واستهلَّها صاحبُ جريدةِ (الرّائد) نجيب قسطنطين حدّاد بقولِه: «(اللُّبابُ) هو اسمٌ لديوانِ جَمَعَ بينَ دفَّتَيْهِ مُختاراتٍ مِمَّا نَظَمَه الشّاعرُ العراقيُّ الطّائرُ الصِّيْتِ، البعيدُ للغايةِ، الفيلسوفُ جميل صِدْقي الزَّهاويُّ. وقد أهدى إلينا نُسْخةً منه، وكتبَ عليها بخطِّ يده... ولَمّا كانَ للزَّهاويِّ عندَنا مقامٌ سامٍ ومنزلةٌ رفيعةٌ، وكُنّا من وقتٍ إلى آخرَ ننقلُ للقُرّاءِ مقاطِعَ من شِعْره البليغِ، أحبَبْنا أن يَنْظُرَ في ديوانِه جنابُ الأُستاذِ البارعِ داود أفندي جرجس الخُوْريِّ- صاحبِ الكُلِّيّةِ الشَّرقيّةِ في الحاضرةِ سابقًا، ومِن كِبارِ حَمَلَةِ الأقلامِ في المَهْجرِ- ويقرظَه، خُصُوصًا وقد وصلَنا الدِّيوانُ وجنابُه في مكتبِ (الرّائد)، فتصفَّحَه وأُعجِبَ بما فيه، و(هذا) ما قالَه تقريظًا له». ثُمَّ أُدرجتِ المقالةُ كاملةً، ومِمّا جاء في مُستهلِّها: «دفعَ إليَّ صديقيَ الأديبُ صاحبُ (الرّائد) ديوانَ النّابغةِ والشّاعرِ المُجيدِ جميل صِدْقي الزَّهاويِّ، فيلسوفِ العراقِ المشهورِ، وطلبَ إليَّ أن أتَصَفَّحَه وأقولَ كلمتي فيه. على أنَّ اسمَ هذا الشّاعرِ ليسَ جديدًا على مَسْمَعي؛ فللزَّهاويِّ شُهرةٌ واسعةٌ في العالَمِ العربيِّ، وليسَ بينَ الطَّبقةِ النّابهةِ من النّاطقينَ بالضّادِ مَن لم يقرأْ له كثيرًا أو قليلًا من المنظوماتِ في مواضيعَ شَتّى، فقد رنَّتْ قصائده في مصرَ وسُوريا ولُبنانَ فضْلًا عن العراقِ مسقطِ رأسِه، ونالتْ إعجابَ النّاسِ، ولا نزالُ نذكرُ الحفلاتِ الإكراميّةَ الّتي أُقيمتْ له في بيروتَ وسِواها إجلالًا لعِلْمِه واعترافًا بمقامِه السّامي كشاعرٍ مُبَرَّزٍ».

(١٠٧) لفظةٌ مُعَرَّبةٌ عن الكلمةِ الإنكليزيّةِ Secure وتعني "المضمون".

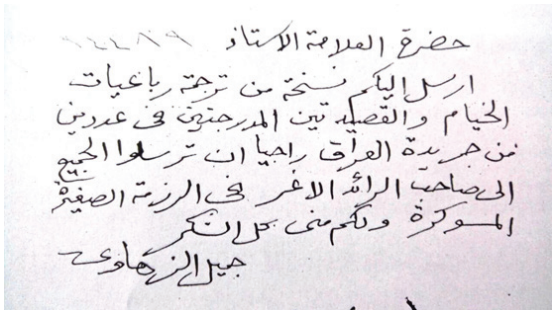

(١٢)

سيِّدي العلّامةَ[١٠٨].

سأبدأُ بكتابةِ ترجمةِ حياتي، وأُقدِّمُها إليكَ بنَفْسي بعدَ فراغي منها، مع بعضِ مُؤلَّفاتي، ولَعلِّي أفرغُ مِمّا سأبدأُ به بعدَ أُسبوعٍ[١٠٩]. ولكَ احترامي.

(١٠٨) لم يُؤرِّخِ الزَّهاويُّ هذه الرِّسالةَ، ودوَّنَ الكرمليُّ تاريخَها في أسفلِها: «بغدادُ في ٤/٢/١٩٣٢».

(١٠٩) المعروفُ عن ترجمةِ الزَّهاويِّ لنفسِه، أنَّه كتبَ ثلاثَ سِيَرٍ ذاتيّةٍ، نُشِرَتْ كُلُّها:

السِيرةُ الذّاتيّةُ الأُولى: كتبَها بُعَيْدَ الاحتلالِ الإنكليزيِّ لبغدادَ سنةَ ١٩١٧م، ونُسْخَتُها الخطّيّةُ محفوظةٌ في دار المخطوطاتِ العراقيّةِ ببغدادَ، تحت الرَّقمِ ٤٠٠٥٠، وتقعُ في ثماني صفحاتٍ، ولَدَيَّ نُسْخةٌ مُصوَّرةٌ منها. وقد نُشِرَتْ مرّتَيْنِ: الأُولى بُعنوانِ: «الزَّهاويُّ يتحدَّثُ عن نفسِه»، في مجلَّةِ (الكتاب) الشَّهريّةِ الثَّقافيّةِ الصّادرةِ عن جمعيّةِ المُؤلِّفينَ والكُتّابِ العراقيِّينَ، السَّنةُ الأُولى، العددُ الأوَّلُ، الصّادرُ في نَيْسانَ/أبريل ١٩٦٢م: ص١٠٥- ١١٠. وقدَّمتْ لها المجلّةُ بهذا التَّمهيدِ: «وجدنا هذا المقالَ المكتوبَ بخطِّ الزَّهاويِّ، وفيه يتحدَّثُ عن نفسِه. وها نحنُ نُقدِّمُه إلى القُرّاءِ الكِرامِ، عسى أن يجدوا فيها صُورةً جديدةً، كما رسمَها الشّاعرُ نفسُه عن أدبِه وفلسفتِه. والمقالُ هذا منقولٌ عن نُسخةٍ مُصوَّرةٍ من كتابِ (الزَّهاويُّ، دراساتٌ ونُصُوصٌ) للأُستاذِ عبدِ الحميدِ الرُّشوديِّ الّذي يُعدُّ للطَّبْعِ». أمّا النَّشرةُ الثّانيةُ لهذه السِّيرةِ الذّاتيّةِ، فتمَّتْ بنَشْرِ صُورةِ الأصلِ الخَطِّيِّ لها بقلمِ الزَّهاويِّ، على يدِ عبدِ الحميدِ الرُّشوديِّ في (ص١٩٧- ٢٠٤) من كتابِه- المُشارِ إليه في التَّمهيدِ أعلاهُ- الّذي تأخَّرَ صُدُوره عن دارِ مكتبةِ الحياةِ ببيروتَ إلى سنةِ ١٩٦٦م. وقالَ عن كيفيّةِ حُصُولِه على الأصْلِ الخَطِّيِّ لها: «تفضَّلَ سيادةُ الأُستاذ گورگيس عَوّاد فأعارَنا هذه المخطوطةَ التّاريخيّةَ بُغْيةَ تزيينِ صفحاتِ كتابِنا. فلهُ مِنّا وافرُ

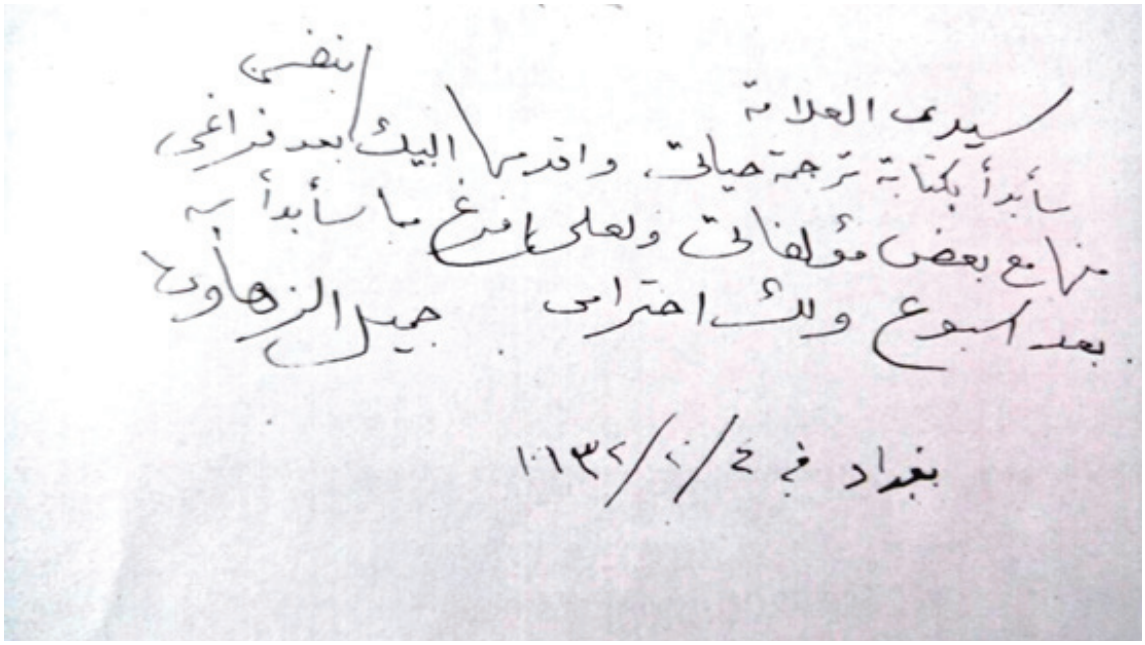
سيدي العلامة
سأبدأ بكتابة ترجمة حياتي، وأقدمها إليك بعد فراغي
من بعض مؤلفاتي ولعلي أفرغ مما سأبدأ به
بعد أسبوع ولك احترامي. جميل الزهاوي
بغداد في ٢/٢/١٩٣٢

الشُّكر».

والسِّيرةُ الذّاتيّةُ الثّانيةُ: نَشَرَها الزَّهاويُّ نفسُه بعُنوان «حياتي»، في (مجلّة المجمع العلميِّ العربيِّ) الدّمشقيّة، الجُزءُ الخامسُ من المُجلَّدِ الثّامنِ، الصّادرُ في أيّارَ/مايو ١٩٢٨م: ص٢٩٢- ٢٩٨. ويبدو أنَّ تاريخَ كتابتِها يعودُ إلى سنةِ ١٩٢٤م، حينَ غادرَ بغدادَ غاضِبًا، مُتوجِّهًا إلى بيروتَ، ومنها إلى القاهرةِ للإقامةِ فيها. غيرَ أنّه عادَ بعدَ سَتَّةِ أَشْهُرٍ إلى مدينتِه.

أمّا السِّيرةُ الذّاتيّةُ الثّالثةُ: فقد كتبَها الزَّهاويُّ يومَ ٨ أيلول/سبتمبر ١٩٣٢م، بناءً على طلبٍ من الباحثِ المصريِّ أحمد مُحمَّد عيش، وهي بعُنوانِ: «ترجمةُ حياتي مُلخَّصةً»، ونشرَها الأخيرُ ضمنَ رسائلَ وردتْهُ منه، في مقالتِه: «رسائلُ الزَّهاويِّ»، بقسمِها الثّاني في مجلَّةِ (الكاتب المصريّ) القاهريّة، بعددِها ١٦ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانية، الصّادرِ في كانونَ الثّاني/يناير ١٩٤٧م: ص٦٤٠- ٦٤٤. ولعلَّ هذه السِّيرةَ الثّالثةَ هي الّتي عَناها الزَّهاويُّ حينَ ذكرَ في رسالتِه الأخيرةِ إلى الكرمليِّ مطلعَ شُباط/فبراير من هذا العامِ بأنّه عازمٌ على كتابتِها في غضونِ أُسبوعٍ، وقد يكونُ أَرجأَ إكمالَها لظَرْفٍ ما في الموعدِ الّذي حدَّده فتأَخّرتْ أَشْهرًا. وقد كانَ كتبَ إلى الباحثِ المصريِّ مُعتذِرًا عن تأَخيرِ إجاباتِه على رسائلِه، بشيخوختِه وأَنَّ أَحوالَه الصِّحّيّةَ ليستْ على ما يُرام.

المصادرُ والمراجِعُ:

أوّلًا: الكُتُبُ:

- **"الأَبُ أَنسْتاس ماري الكرمليُّ، حياتُه ومُؤلَّفاتُه (١٨٦٦-١٩٤٧)"**، گورگيس عوّاد، مطبعةُ العانيِّ، بغداد، ١٩٦٦م.
- **"أَدبُ الرَّسائلِ بينَ الآلُوسيِّ والكرمليِّ"**، دارُ الرائدِ العربيِّ، تحقيق: گورگيس عَوّاد وميخائيل عَوّاد، بيروت، ١٩٨٧م.
- **"أَحمد لُطْفي السَّيِّد: دراسةٌ في الخارطةِ المعرفيّةِ"**، د. مُحمَّد ماهر محمود الجَمّال، مركزُ البُحُوثِ العربيّةِ، دارُ الأَمين، القاهرة، ٢٠٠٤م.
- **"الأَعلامُ"**، خيرُ الدِّين الزِّرِكْليُّ، دارُ العِلْمِ للملايين، بيروت، ط ١٥، ٢٠٠٢م.
- **"أَعلامُ الأَدبِ في العراقِ الحديثِ"**، مِيْر بَصْري، دارُ الحِكْمةِ، لندن، ط١، ١٩٩٤م.
- **"أَعلامُ اليقظةِ الفِكْريّةِ في العراقِ الحديثِ"**، مِيْر بَصْري، وزارةُ الإِعلامِ العراقيّةُ، مُديريّةُ الثَّقافةِ العامّةُ، دارُ الحُرِّيّةِ، بغداد، ١٩٧١م.
- **"الأَوشالُ"**، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، مطبعةُ بغدادَ، ١٩٣٤م.
- **"تأهيلُ الغريب"**، تقيُّ الدِّين أَبو بكر بنُ عليٍّ بن مُحمَّد بن حِجَّةَ الحَنَفيُّ المعروفُ بابنِ حِجَّةَ الحَمَويِّ، تحقيق: محمود حسن المصريُّ، مطبوعاتُ نادي المدينةِ المُنوَّرةِ الأَدبيِّ، دارُ النَّوادرِ، دمشق، ط١، ٢٠١٧م.
- **"تأهيلُ الغريب"**، شمسُ الدِّين مُحمَّدُ بن حسن بن عليٍّ النَّوّاجيُّ، تحقيق: د. أَحمد مُحمَّد عَطا، مكتبةُ الآداب، القاهرة، ط١، ٢٠٠٥م.
- **"تاريخُ التُّراثِ العربيِّ"**، فُؤاد سزگين، نقلَه عن الأَلمانيّةِ إِلى العربيّةِ: د. محمود فهمي حِجازي، وراجعَ التَّرجمةَ: د.عَرَفة مُصطفى ود. سعيد عبد الرَّحيم، إِدارةُ الثَّقافةِ والنَّشْرِ بجامعةِ الإِمامِ مُحمَّد بن سُعود الإِسلاميّةِ، الرِّياض، ١٩٨٣م.
- **"تاريخُ الصِّحافةِ العربيّةِ"ج٤**، فيليب دي طرَّازي، المطبعةُ الأَميركانيّةُ، بيروت، ١٩٣٣م.
- **"تعليقاتٌ على لَهْجةِ بغدادَ العربيّةِ"**، لويس ماسينيون، ترجمةُ: أَكرم فاضِل، مركزُ الفُولكلورِ العراقيِّ في وزارةِ الإِرشادِ العراقيّةِ، سلسلةُ المكتبةِ الفُولكلوريّةِ (٢)، مطبعةُ وأُوفسيتُ الرّابطةِ، بغداد، ١٩٦٢م.
- **"التَّوفيقاتُ العَلَيَّة في مُوافقةِ الشُّهُورِ العربيّةِ بالشُّهورِ الميلاديةِ، للقرنَيْنِ الرّابعَ عشرَ والخامسَ عشرَ الهجريِّ"**، عبدُ العزيز سعيد هاشم، مكتبةُ وَهْبة، القاهرة، ط١، ١٩٩٠م.
- **"ثمراتُ الأَوراق فيما طابَ من نوادرِ الأَدبِ وراق"** وذُيُولُه، تقيُّ الدِّين أَبو بكر بنُ عليٍّ بن مُحمَّدٍ بن حِجَّةَ الحَنَفيُّ المعروفُ بابن حِجَّةَ الحَمَويِّ، المطبعةُ الخَيْريّةُ، القاهرة، ١٣٣٩هـ/ ١٩٢١م.
- **"حماسةُ البُحْتُريِّ"**، أَبو عُبادةَ الوليدُ بنُ عُبيدٍ بن يحيى الطّائيُّ البُحْتُريُّ، تحقيق: د. مُحمَّد إِبراهيم حُوَّر، وأَحمد مُحمَّد عُبيد، هيئةُ (أَبو ظَبي) للثَّقافةِ والتُّراثِ، أَبو ظَبي، ط١، ٢٠٠٧م.
- **"الدَّليلُ الرَّسميُّ العراقيُّ لسنةِ ١٩٣٦، موسوعةٌ سنويّةٌ إِداريّةٌ اجتماعيّةٌ اقتصاديّةٌ تجاريّةٌ زراعيّةٌ، تصدرُ باللُّغتَيْنِ العربيّةِ والإِنكليزيّةِ"**، صاحبُ الامتيازِ إِلْياهو دَنْكُوْر، رئيسُ التَّحريرِ محمود فهمي دَرْويش، محلُّ دَنْكُوْر للطَّبْعِ والنَّشْر، بغداد، ١٩٣٦م.
- **"ديوانُ الزَّهاويِّ"**، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، المطبعةُ العربيّةُ بمصرَ لصاحبِها خيرِ الدِّين الزِّرِكْليِّ، القاهرة، ١٩٢٤م.
- **"ديوانُ سُراقةَ البارقيِّ"**، حقَّقَه وشرحَه: حُسين نصّار، لَجْنةُ التَّأليفِ والتَّرجمةِ والنَّشْرِ، القاهرة، ط١، ١٩٤٧م.
- **"الذَّريعة إِلى تصانيفِ الشِّيْعة"**، آقا بُزرك الطَّهرانيُّ، دارُ الأَضواءِ، بيروت، ١٩٨٣م.
- **"رُباعيّاتُ الخَيّام"**، ترجمَها عن الفارسيّةِ نَثْرًا ونظْمًا: جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، مطبعةُ الفُرات، بغداد، ١٩٢٨م.
- **"رُباعيّاتُ الزَّهاويِّ"**، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، مطبعةُ القاموسِ العامِّ، بيروت، ١٩٢٤م.
- **"رسائلُ الأُستاذِ الرَّئيسِ مُحمَّد كُرْد علي إِلى الأَبِ أَنسْتاس ماري الكرمليِّ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مطبوعاتُ مجمعِ اللُّغةِ العربيّةِ بدمشقَ، دمشق، ط١، ٢٠٠٠م.
- **"رسالةٌ في الكِتابةِ العربيّةِ المُنقَّحةِ"**، أَنسْتاس ماري الكرمليُّ، بغداد، ١٩٣٥م.
- **"الزَّهاويُّ، دراساتٌ ونُصُوصٌ"**، عبدُ الحميدِ الرُّشُوديُّ، منشوراتُ دارِ مكتبةِ الحياةِ، بيروت، ١٩٦٦م.
- **"الزَّهاويُّ الشّاعرُ الفيلسوفُ والكاتبُ المُفكِّرُ"**، عبدُ الرَّزّاق الهلاليُّ، الهيئةُ العامّةُ المصريّةُ للكتاب، القاهرة، ١٩٧٦م.
- **"شُعراءُ العراقِ في القرنِ العشرين"** (الجُزء الأَوّل)، د. يُوسُف عزّ الدِّين، مطبعةُ أَسعد، بغداد، ١٩٦٩م.
- **"الضَّوءُ اللّامع لأَهلِ القَرْنِ التّاسع"**، أَبو الخير مُحمَّدُ بنُ عبدِ الرَّحمنِ بنِ مُحمَّدٍ بنِ أَبي بكرٍ،

تحقيقات

شمسُ الدِّينِ السَّخاويُّ، منشوراتُ دارِ مكتبةِ الحياةِ، بيروت (ب. ت).
- "**فهارسُ (لُغةِ العرب)**"، إعداد: حِكْمت تُوْماشي، وزارةُ الإعلامِ العراقيّةُ، مُديريّةُ الثَّقافةِ العامّةِ، سلسلةُ كُتُبِ التُّراثِ (٢٥)، بغداد، ١٩٧٢م.
- "**في اللُّغةِ والأَدب، دراساتٌ وبُحُوثٌ**"، محمود مُحمَّد الطَّناحيُّ، دارُ الغربِ الإسلاميِّ، تُونُس، بيروت، ط١، ٢٠٠٢م.
- "**الكتابُ الذَّهَبيُّ ليوبيلِ المُقتطفِ الخمسينيِّ ١٨٧٦- ١٩٢٦م**"، مطبعةُ المُقتَطَفِ والمُقَطَّمِ بمصرَ، القاهرة، ١٩٢٦م.
- "**الكرمليُّ ومجلَّةُ لُغةِ العربِ ودَوْرُهما في الحداثةِ**"، عِناد إسماعيل الكُبَيْسيُّ، دارُ الشُّؤونِ الثَّقافيّةِ العامّة، بغداد، ٢٠٠٢م.
- "**كَشْفِ الظُّنُون عن أَسامي الكُتُبِ والفُنُون**"، مُصطفى عبدُ الله القُسطنطينيُّ المعروفُ بكاتب چلبي وبِحاجي خليفة، حقَّقَه وعلَّقَ عليه: إكمالُ الدِّين إحسان أُوغلي ود. بشّار عوّاد معروف، مُؤسَّسةُ الفُرقانِ للتُّراثِ الإسلاميِّ، مركزُ دراساتِ المخطوطاتِ الإسلاميّة، لندن، ط١، ٢٠٢١م.
- "**الكَلِمُ المنظُومُ**"، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، المطبعةُ الأَهليّةُ، بيروتَ، ١٣٢٧هـ/ ١٩٠٩م.
- "**اللُّبابُ**"، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، مطبعةُ الفُراتِ، بغدادَ، ١٩٢٨م.
- "**مباحِثُ عراقيّةٌ، في الجُغرافيةِ والتّاريخِ والآثارِ وخِطَطِ بغدادَ**"ج٣، يعقوب سَرْكيس، تحقيق: معن حَمْدان علي، دارُ الرَّشيدِ للنَّشْرِ، بغداد، ١٩٨١م.
- "**مُختاراتُ الزَّهاويِّ من عُيُونِ الشِّعْرِ**"، جمعَها وحقَّقَها وأَضافَ لها هوامشَ: عبدُ الرَّزّاق الهلاليُّ، ساعدَ المجمعُ العلميُّ العراقيُّ على طَبْعِه، مطبعةُ شفيق، بغداد، ١٩٧٢م.
- "**المُساعِد**"، الأَبُ أَنْستاس ماري الكرمليُّ، حقَّقَه وعلَّقَ عليه ووضعَ فهارسَه: گورگيس عَوّاد وعبدُ الحميدِ العَلَوْجيُّ، مُديريّةُ الثَّقافةِ العامّة- دارُ الحُرِّيّةِ للطِّباعةِ (سلسلةُ المعاجِمِ: ٢). بغدادُ، ١٩٧٢م.
- "**مع الخالِدين- مجمعُ اللُّغةِ العربيّةِ في عِيْدِه الخَمْسينيِّ**"، إبراهيم مَدْكور، الهيئةُ العامّةُ لشُؤون المطابعِ الأَميريّة، القاهرة، ١٩٨١م.
- "**المُعجَمُ الشّامِلُ للتُّراثِ العربيِّ المطبوع**"، جَمْعُ وإعدادُ وتحريرُ: مُحمَّد عيسى صالحيّة، معهدُ المخطوطاتِ العربيّة، القاهرة، ط١، ١٩٩٢- ١٩٩٣م.
- "**مُعجمُ الشُّعراءِ العراقيِّينَ المُتوفِّيْنَ في العَصْرِ الحديثِ ولهم دِيوانٌ مطبوعٌ**"، جعفر صادق حَمُّودي التَّميميُّ، شركةُ المعرفةِ للنَّشْرِ والتَّوزيعِ المحدودةُ، بغداد، ط١، ١٩٩١م.
- "**مُعجَمُ المطبوعاتِ العربيّةِ والمُعرَّبةِ**" يُوسُف إليان سَرْكيس، مطبعةُ سَرْكيسَ بمصرَ، القاهرة، ١٩٢٨م.
- "**مُعجَمُ المُؤلِّفينَ العراقيِّين في القرنَيْنِ التّاسعَ عشرَ والعِشرين ١٨٠٠- ١٩٦٩**"، گورگيس عَوّاد، مطبعةُ الإرشاد، بغداد، ١٩٦٩م.
- "**موسوعةُ أَحداثِ القرْنِ العشرينَ**"، ناصر بن مُحمَّد الزُّمل، مكتبة العبيكان، الرِّياض، ط٢، ٢٠٠٦م.
- "**موسوعةُ أَعلامِ وعُلماءِ العراقِ**"، حميد المطبعيُّ، مُؤسَّسةُ الزَّمانِ الدَّوليّةُ للصِّحافةِ والنَّشْرِ والتَّوزيع، بغداد، ط١، ٢٠١١م.
- "**الموسوعةُ الصَّحفيّةُ العربيّةُ**"ج١، حسين عوّادات وياسين شُكر، النّاشرُ: إدارةُ الثَّقافةِ في المُنظَّمةِ العربيّةِ للتّربيةِ والثَّقافةِ والعُلُوم التّابعةِ لجامعةِ الدُّولِ العربية، تُونُس، ١٩٩٠م.
- "**الموسوعةُ العربيّةُ المُيَسَّرةُ**"، مجموعةٌ من العُلماءِ والباحثينَ، إشراف د. مُحمَّد شفيق غِرْبال، المكتبةُ العصريّةُ، صَيْدا- بيروت، ط١، ٢٠١٠م.
- "**هديّةُ العارفين، أَسماءُ المُؤلِّفينَ وآثارُ المُصنِّفين**"، إسماعيل باشا بنُ مُحمَّد أمين بن مِير سليم البابانيُّ البغداديُّ، وكالةُ المعارفِ، إسطنبول، ١٩٥١- ١٩٥٥م.

ثانيًا: الدَّوريّاتُ:

- ** (**مجلَّةُ (لُغة العرب)** البغداديّةُ: مُجلَّداتُها التِّسعةُ بمرحلتَي صُدُورِها: (١٩١١- ١٩١٤م، و١٩٢٦- ١٩٣١م))
- "**الأَبُ أَنِسْتاس ماري الكرمليُّ الرّاهِبُ الّذي وقفَ حياتَه لخدمةِ لُغةِ القُرآن**"، عبدُ الرَّزّاق الهلاليُّ، مجلَّةُ (العربيّ) الكُويتيّةُ، العددُ ٩١، حَزيران/ يونيو ١٩٦٦م: ص٤٩- ٥٥.
- "**الأَخَوانِ عَوّاد: تتبُّعٌ .. ومُتابعةٌ**"، رشيد الرَّمّاحيُّ، مجلَّةُ (ألف باء) البغداديّةُ، العددُ ٤٤٧، السَّنةُ التّاسعةُ، ١٣ نَيْسان/ أبريل ١٩٧٧م: ص ٤٦- ٤٩.
- "**الأَدبُ والشَّرُّ، كُتّابٌ قَتَلوا، وشُعراءُ فَتكوا، ومُبدعون أَجرموا**"، أبو فخر صقر، جريدةُ (السَّفير) البيروتيّةُ: العددُ ٩٤١٢، الصَّادرُ يومَ ٣١/ ١/ ٢٠٠٣م.
- "**أَنِسْتاسُ الكرمليُّ: بِشارةُ نهْضةٍ، وريادةُ تنويرٍ.. بينَ احتفاءٍ باهِرٍ للنُّخبِ بيوبيلِه سنةَ ١٩٢٨م وراهنٍ تجاهُلِ ذِكرى وِلادتِه**

الـ ١٥٠"، حُسين مُحمَّد عَجيْل، جريدةُ (طريق الشَّعْب) البغداديّةُ، العددُ الصّادِرُ يومَ ٧ آب/ أغسطُس ٢٠١٦م: ص٤- ٥.

- **"التَّقويمُ الشَّمْسيُّ العُثمانيُّ المُسمَّى بالسِّنين الماليّةِ الرُّوْميّةِ"**، د. مُحمّد صِدّيق الجليليُّ، (مجلّة المجمع العلميِّ العراقيِّ): المُجلَّدُ ٢٣، ١٩٧٣م: ص٢٢٧- ٢٣٩.
- **"جميل صِدْقي الزَّهاويُّ"**، طه الرّاويُّ، (مجلّةُ المجمع العلميِّ العربيِّ) الدّمشقيّةُ، العددُ المُزدوجُ السّابعُ والثّامنُ من المُجلَّدِ ١٤، تمُّوز/ يوليو، وآب/ أغسْطُس ١٩٣٦م: ص٢٤٨- ٢٥٥.
- **"جميل صِدْقي أفندي الزَّهاويُّ، مُهاجمتُه بشعريّاتِه للشّريعةِ الإسلاميّةِ في حُقُوق النِّساءِ"**، مُحمّد رشيد رضا، مجلّةُ (المنار) القاهريّةُ، العددُ ١١ من السَّنةِ ١٣، كانونُ الأوَّلُ/ ديسمبر ١٩١٠م: ص٨٤١- ٨٤٦.
- **"الخطُّ الجديدُ"**، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، مجلّةُ (المُقتطَف) القاهريّةُ، الجُزءُ السّابعُ من السَّنةِ العشرين، ١ تشرينَ الأوَّلِ/ اكتوبر ١٨٩٦م: ص٧٣٨- ٧٥٢.
- **"ديوانُ الشَّيْخِ كاظِمِ الأزْريِّ (١١٤٣- ١٢١٣)"**، حقَّقَه وشرَحَه وعلَّقَ عليه: شاكر هادي شُكر، مجلّةُ (المورد)، العددُ الثّاني، المُجلَّدِ الرّابع، صيفَ سنةِ ١٩٧٥م، والعددُ الرّابعُ من المُجلَّد الخامسُ، شتاءُ ١٩٧٦م.
- **"رسائلُ الزَّهاويِّ"**، أحمد مُحمَّد عيش، مجلّةُ (الكاتب المصريّ) القاهريّةُ، العددُ ١٦ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانية، كانونُ الثّاني/ يناير ١٩٤٧م: ص٦٤٠- ٦٤٤.
- **"الرَّسائلُ المُتبادلَةُ بينَ شَيْخِ العُرُوبةِ أحمد زكي باشا والأبِ أنَسْتاس ماري الكرمليِّ"**، حقَّقها وعلَّق حواشيَها: حِكْمت رَحْماني، مجلّةُ (المَورِد) البغداديّةُ، العددُ الثّاني من المُجلَّدِ السّادسِ، ١٩٧٧م: ص١٤٣- ١٩٢.
- **"زاويةُ الأخبار"**، مجلّةُ (النُّور) البيروتيّةُ، العددُ الصّادرُ في شهرِ تشرينَ الثّاني/ نوفمبر ١٩٥٧م.
- **"الزَّهاويُّ وصِلاتُ التَّثاقُفِ مع المُستشرقِ الفرنسيِّ لويس ماسنيون"**، حُسين مُحمَّد عَجيْل، جريدةُ (الصّباح) الصّادرةُ ببغدادَ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٦١١٥، الثُّلاثاءُ ٢٥ شُباط/ فبراير ٢٠٢٥م.
- **"الزَّهاويُّ يتحدَّثُ عن نفسه"**، مجلّةُ (الكتاب) الشّهريّةُ الثّقافيّةُ الصّادرةُ عن جمعيّةِ المُؤلِّفينَ والكُتّابِ العراقيِّينَ، السَّنةُ الأولى، العددُ الأوَّلُ، نَيْسانَ/ أبريل ١٩٦٢م: ص١٠٥- ١١٠.
- "**صفحاتٌ من تاريخ مُسْتَعادٍ لِراهِبَيْنِ في محْرابِ التُّراثِ، رسائلُ سُليمانَ الصّائغِ إلى أنَسْتاسَ الكرمليِّ (١٩٢٢- ١٩٣١م)**"، حُسين مُحمَّد عَجيْل، مجلّةُ (المورد) التُّراثيّةُ الفصليّةُ المُحَكَّمةُ، العددُ الفصليُّ الثّالثُ من المُجلَّدِ ٥١، الصّادرُ في خريفِ سنةِ ٢٠٢٤م: ص١٧١- ٢٢٠.
- **"عطَّلَتْها الحربُ الكَوْنيّةُ الأُولى ١٢ عامًا، وأوقَفَها كَسادُ الثَّلاثينيّاتِ العالميُّ، مُكابداتُ الكرمليِّ ومَسرّاتُه في إصدارِ أعْرقِ مجلّةٍ ثقافيّةٍ ببغدادَ"**، حُسين مُحمَّد عَجيْل، جريدةُ (الزَّمان) البغداديّةُ، العددُ ٦٦٠٥، الاثنَيْنُ ٩ آذار/ مارس ٢٠٢٠م: الصَّفحةُ الخامسةُ. والعددُ ٦٦٠٦، الثُّلاثاءُ ١٠ آذار/ مارس ٢٠٢٠م: الصَّفحةُ الخامسةُ.
- **"العَلّامةُ الكرمليُّ في ذاكرةِ الثَّقافةِ العربيّةِ"**،

حُسين مُحمَّد عَجِيْل، جريدةُ (المَدى) البغداديّةُ، العددُ السّابعُ، ١٦ أيلولَ/ سبتمبر ٢٠٠٣م: الصُّفحةُ الثّامنةُ (الثَّقافيّةُ).

- **"الكرمليُّ في ذِكراهُ الـ ٧٤.. ثراءُ الرِّيادة الثَّقافيّةِ وفَرادةُ الدَّوْر.. هل ستُحيي بغدادُ ذِكرى اليوبيلِ الماسيِّ لرحيلِه بعدَ عام؟"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، جريدةُ (الصَّباح) البغداديّةُ، العددُ ٥٠١٤، ٧ كانون الثّاني/ يناير ٢٠٢١م: الصَّفحةَ ٢١.
- **"كنزٌ ثقافيٌّ للكرمليِّ مُحْتَجَزٌ بالقاهرةِ مُنذُ ١٥ عامًا، لا مُساعِد على إنقاذِ مُعجَمِ (المُساعِد)"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (الشَّبكة العراقيّة)، السَّنةُ العشرون، العددُ ٤٨١، الجُمعةُ ١٥ آب/ أَغْسْطُس ٢٠٢٥م: ص٧٨- ٨٠.
- **"هكذا أَنقذَ الأَبُ أَنِسْتاس ماري الكرمليُّ مَنارةَ سُوقِ الغزلِ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (الشَّبكة العراقيّة) الصّادرةُ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٣٥١، ١٢ كانون الثّاني/ يناير ٢٠٢٠م: ص٢٨- ٣٠.
- "**كيفَ حاولَ الزَّهاويُّ الإفلاتَ من قبْضةِ الإنكليزِ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (الشَّبَكة العراقيّة) الصّادرةُ ببغدادَ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، بعددِها ٤٩٤، من السَّنةِ ٢١، الصّادرِ يومَ السَّبتِ ٢٨ شُباط/ فبراير ٢٠٢٦م: (ص٦٨- ٦٩).
- **"لُغةُ الكِتابةِ ووُجوبُ اتِّحادِها باللُّغةِ المَحْكِيّة"**، جميل صِدْقي الزَّهاويُّ، جريدةُ (المُؤيَّد) القاهريّةُ، ٩ آب/ أَغْسْطُس ١٩١٠م.
- **"للحقيقةِ والتّاريخِ، رسائلُ الزَّهاويِّ"**، أَحمد مُحمَّد عيش، مجلَّةُ (الكاتب المصريّ) القاهريّةُ، العددُ ١٥ من المُجلَّدِ الرَّابعِ، من سنتِها الثّانية، كانونُ الأَوَّلُ/ ديسمبر ١٩٤٦م: ص٤٥٢- ٤٦٩.
- **"لمحاتٌ من حياةِ الزّهاويِّ تكشفُها رسائلُه إلى الكرمليِّ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، جريدةُ (الصّباح) الصّادرةُ ببغدادَ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٦٣٥٥، الاثنينُ ٢٣ شُباط/ فبراير ٢٠٢٦م.
- **"مُحاولَةٌ لتوثيقِ الرِّيادةِ في دراسةِ التُّراثِ الشَّعبيِّ والعامِّيّةِ العراقيّةِ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (التُّراث الشَّعبيّ) الصّادرةُ عن دار الشُّؤون الثَّقافيّة العامَّة، وزارةُ الثَّقافةِ، العددُ ٣١٥، كانونُ الأَوَّلُ/ ديسمبر ٢٠٢١م: ص٢٩٣- ٣٢٢.
- **"مُختاراتُ الزَّهاويِّ من عُيُونِ الشِّعْرِ"**، مُحمَّد عبد الغني حسن، مجلَّةُ (مجمع اللُّغةِ العربيّةِ) القاهريّةُ، الجُزءُ ٣١، آذار/ مارس ١٩٧٣م: ص٢٠٢- ٢١٦.
- **"المَزّارُ بنُ سعيدٍ الفَقْعَسِيُّ، حياتُه وما بقيَ من شِعرِه"**، صنعةُ د. نوري حَمُّودي القَيْسيِّ، مجلَّةُ (المورد) البغداديةُ، الجُزءُ الثّاني من المُجلَّدِ الثّاني، ١٩٧٣م: ص١٥٥- ١٨٤.
- **"المرأةُ والدِّفاعُ عنها"**، صَوْتٌ إصلاحيٌّ من العراق (اسمٌ مستعارٌ اتَّخَذه جميل صِدْقي الزَّهاويُّ)، جريدةُ (المُؤيَّد) القاهريّةُ، ٧ آب/ أَغْسْطُس ١٩١٠م.
- **"وقائعُ اليومِ الأَخيرِ في حياةِ الزَّهاويِّ"**، حُسين مُحمَّد عَجِيْل، مجلَّةُ (الشَّبَكة العراقيّة) الصّادرةُ ببغدادَ عن شبكةِ الإعلامِ العراقيِّ، العددُ ٣٧٨، الصّادرُ يومَ ٢٨ شُباط/ فبراير ٢٠٢١م: ص٤٠- ٤١.